# مجلة الأزهر

## مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

## تصدرها مشيخة الأزهر

في كل شهر عربي

| المجلد الثاني عشر | ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٦٠ | الجزء الخامس |
| --- | --- | --- |

مدير إدارة المجلة ورئيس تحريرها

محمد فريد وجدي


**الإدارة**

ميدان الأزهر

تليفون : ٨٤٣٣٢

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

**الاشتراكات عن سنة**

| | مليم |
| --- | --- |
| داخل القطر ... .. ... ... ... ... | ٢٠٠ |
| لطلبة الجامعة الأزهرية خاصة ... | ١٠٠ |
| خارج القطر ... ... ... ... .. | ٣٠٠ |

ثمن الجزء الواحد ٢٠ مليما داخل القطر و ٣٠ خارجه


( مطبعة الأزهر — ١٩٤١ )

# فهرس

## الجزء الخامس — المجلد الثاني عشر

# عيد جلوس حضرة صاحب الجلالة فاروق الاول

## حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الإمام يحتفل به فى الأزهر

احتفلت الأمة المصرية بعيد ولاية حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الأول الملك، فتجلى فيه ما تكنه هذه الأمة لجلالته من خالص الولاء، وعظيم الاخلاص، وما يعمر فؤادها من صادق الشكر لله عز وجل على ما منحها فى شخصه المحبوب من راع جمع فى ريّق شبيبته بين حنكة الشيوخ، ومضاء الشباب.

وكان فى مقدمة الهيئات التى احتفلت بهذا اليوم السعيد الجامع الأزهر المعمور تحت رئاسة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخه الجليل. فما وافت الساعة الخامسة من مساء اليوم الخامس من شهر مايو سنة ١٩٤١، حتى حفل الأزهر بالعلماء، وكبار رجال الدولة، والوجهاء وطلاب العلم، يترقبون أن يحظوا من بيان الأستاذ الامام بما اعتادوا أن يحظوا به فى كل عام، فكان حظهم موفورا من الحكم القيمة، والتعاليم النيرة، والأصول البينة؛ ولست بمبالغ إن قلت إن خطبة هذا العام قد جمعت من أمهات الإصلاح ما يجب على كل من عهد اليه بنصيب من سلطان الأمة، أن يتخذه دستورا له فى حياته العملية.

وقد ختمها فضيلته بفذلكة موفقة فى شمائل حضرة صاحب الجلالة الملك، جلت من مواهبه العلية، وفضائله السنية، ما طار صيته فى الآفاق، وأصبح مثلا أعلى للقادة فى سائر الأقطار.

قال فضيلته حفظه الله:

كان من سعادة الأمة المصرية فى هذه الأوقات التى تعصف فيها بالأمم عواصف الشر والبلاء، أن مليكها، وحامل تاجها، ورب عرشها: هو صاحب الجلالة فاروق الأول، أعزه الله، وأدام توفيقه، وزاده حكمة.

لقد أجمعت الأمة على حبه وتقديره مذ تبوأ العرش، وتعلقت به القلوب تعلقا لم ينله أحد قط من ولاة مصر قبله؛ وكان مصدر هذا الاجماع إلهاما فطريا من عادته أن ينزل على الجماعات فيهديها الى الصواب؛ فلما خبرته تأكد هذا الحب، وزاد ذلك التقدير، ودلت التجربة على صدق الإلهام، وعلى أنه ربان ماهر، وهاد خبير، ودليل صادق، وقائد حكيم.

# عيد جلوس حضرة صاحب الجلالة فاروق الاول

## حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الإمام يحتفل به فى الأزهر

احتفلت الأمة المصرية بعيد ولاية حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الأول المُلك، فتجلى فيه ما تكنه هذه الأمة لجلالته من خالص الولاء، وعظيم الاخلاص، وما يعمر فؤادها من صادق الشكر لله عز وجل على ما منحها فى شخصه المحبوب من راع جمع فى ريِّق شبيبته بين حنكة الشيوخ، ومضاء الشباب.

وكان فى مقدمة الهيئات التى احتفلت بهذا اليوم السعيد الجامع الأزهر المعمور تحت رئاسة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخه الجليل. فما وافت الساعة الخامسة من مساء اليوم الخامس من شهر مايو سنة ١٩٤١، حتى حفل الأزهر بالعلماء، وكبار رجال الدولة، والوجهاء وطلاب العلم، يترقبون أن يحظوا من بيان الأستاذ الامام بما اعتادوا أن يحظوا به فى كل عام، فكان حظهم موفورا من الحكم القيمة، والتعاليم النيرة، والأصول البينة؛ ولست بمبالغ إن قلت إن خطبة هذا العام قد جمعت من أمهات الإصلاح ما يجب على كل من عهد اليه بنصيب من سلطان الأمة، أن يتخذه دستورا له فى حياته العملية.

وقد ختمها فضيلته بفذلكة موفقة فى شمائل حضرة صاحب الجلالة الملك، جلت من مواهبه العلية، وفضائله السنية، ما طار صيته فى الآفاق، وأصبح مثلا أعلى للقادة فى سائر الأقطار.

قال فضيلته حفظه الله:

كان من سعادة الأمة المصرية فى هذه الأوقات التى تعصف فيها بالأمم عواصف الشر والبلاء، أن مليكها، وحامل تاجها، ورب عرشها: هو صاحب الجلالة فاروق الأول، أعزه الله، وأدام توفيقه، وزاده حكمة.

لقد أجمعت الأمة على حبه وتقديره مذ تبوأ العرش، وتعلقت به القلوب تعلقا لم ينله أحد قط من ولاة مصر قبله؛ وكان مصدر هذا الاجماع إلهاما فطريا من عادته أن ينزل على الجماعات فيهديها الى الصواب؛ فلما خبرته تأكد هذا الحب، وزاد ذلك التقدير، ودلت التجربة على صدق الإلهام، وعلى أنه ربان ماهر، وهاد خبير، ودليل صادق، وقائد حكيم.

وكما منحت الأمة الفاروق حبها وإخلاصها وولاءها ، منحها حبه وبره وعطفه ورعايته وسهره على مصالحها . فلا شيء عنده أعز من بلاده ، ولا شيء عنده أحب اليه من أمته . فهو شديد الحرص على كرامتها وعزها ، ومجدها واستقلالها ، وسلامتها وأمنها ، ويسرها ورخائها ؛ لا يغفل عن ناحية من نواحيها . فكما يسأل عن المدرسة والمعلم والتلميذ ، يسأل عن المزرعة والفلاحين ، وعن المصنع وعماله ؛ وكما يسأل عن الجيش وجنوده ، يسأل عن المحكمة وقضاتها ؛ وكما يهتم بكبار رجال الدولة وأولى الأمر فيها ، يبحث عن مساعديهم .

إنه فى تفكير دائم فى كل شأن من شؤونها ؛ أعز أمانيه أن يرى البلاد تسير على نظام اجتماعى يستند الى دينها وتقاليدها ، وأن تكون عناية الحكومة موجهة الى إصلاح الجمهور ، ترفع عنه الجهالة ، وتيسر له عيشا سعيدا هنيئا ، وتشعره بعدل الدولة فى حكمها وشفقتها على الرعية ، حتى يعيش الضعيف آمنا على نفسه وعلى حقه ، ويشعر بيسر الطريق فى الوصول الى حقه ، حتى يجد كل واحد من عمله ما يكافئه ، فيجد الفلاح والعامل غذاء صالحا ، وملبسا مناسبا ، ومسكنا لائقا ، وحتى لا يطغى القوى على الضعيف يستلب رزقه فلا يعطيه أجر عمله كاملا متناسبا مع جهده .

هذه الرغبات الحقة هى التى يجب أن تكون مقصد الحكومات وقادة الأمة وساستها . فيجب أن يبذل جهد وافر لإصلاح حال الشعب ، جسميا وخلقيا وتهذيبيا ، ليكون منه رجال أقوياء الأجسام ، صالحون للحياة الكاملة ، وليكون منه سلائل قوية تستطيع الكفاح فى الحياة ؛ ثم توفر لهذا الشعب أرزاقه وأقواته ، حتى يعيش راضيا مطمئن النفس هادئ البال . ويجب أن يمنع عنه أذى الوسطاء ؛ فهذه الثمرات التى تؤتيها الأرض المصرية الطيبة لا ينال منها العاملون عليها ما يوازى جهدهم وكدهم ، ثم لا ينفق عليهم مما تجبيه الدولة ما يجب أن تنفقه الدولة عليهم .

وفى الحق أن الشعب لم يجد حتى الآن ما يستحقه من العناية ، وقد عنى الناس حتى الآن بالزينة وتركت مقومات الحياة

كل شيء عندنا فى حاجة الى دراسة ، وفى حاجة الى إصلاح ، وأكثر الأشياء أجسام لا أرواح فيها ؛ وأساس الخير كله أن يشعر الحكام بأنهم أجراء لهذا الشعب ، وأن يستشعروا خوف الله ، فلا يأكل أحد أجره دون أن يعمل بأجره .

نعود الى الحديث عن جلالة الفاروق ، والحديث عنه يحلو ويطيب :

إنه لا يرتجل الآراء أو تلقى اليه الآراء فيهم ويلقى بين عينيه عزمه وينكب جانبا عن ذكر العواقب ؛ كلا ! إنه يدير الرأى ويقلب وجوه الأمور ، فاذا بدا له وجه الصواب وأشرق نوره واختمر الرأى عنده ، أمضى الأمر لا يقفه شيء إلا أن يكون قدرا مقدورا . فهو كما قال القائل :

أبى لى البلاء وأنى امرؤ إذا ما تبينت لم أرتب

وقـد تعددت شواهد بره بالضعفا والبائسين ، فلست فى حاجة الى ذكرها وتعـدادها . لـكنى أقول : إنه يتبع قول الله سبحانه : «إن تبدوا الصدقات فنعما هى ، وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لـكم ؛ ويكفرُ عنكم من سيئاتـكم ، والله بمـا تعملون خبير» . فهو يؤثر الخير عند الله لا يبدو من إحسانه إلا ما لا سبيل الى كتمانه .

أيها الاخوان :

لا أظن أنى فى حاجة الى تعـداد مآثره على الأزهر وأهله وحبه للعلماء ، وعطفه على طلبة العلم ، فهو فى هذا مثابر على طريقة والده المعظم المغفور له الملك فؤاد ، رفع الله قدره فى الجنات ؛ يحوط أهل الدين بعناية خاصة ، لأنه يعرف قدر الدين ومنزلته ، وأنه وسيلة السعادة ، وطريق الاصلاح الحق ، وأساس الخلق القويم ، ودواء المجتمع الانسانى من شروره ؛ فهو يعز أهل الدين لأنه يحب الدين . أبقاه الله حارسا للدين وأهله ، مدافعا عنه وعن أهله .

أيها الإخوان :

إن على العلماء وطلبة العلم فى هذه الحقبة التى يتطاير فيها اللهب من بقعة الى بقعة فى الأرض ، واجبا لا مناص من أدائه ، هو إرشاد الجمهور الى ما يقضى به العقل ويوجبه الوطن على أهله :

سلامة الوطن وأمنه ، والسعى الى ذلك فريضة على كل أحد أن يحتمل نصيبه منها ؛

المحافظة على قواعـد الدين ونظمه وعلى تقاليدنا التى لا تنافى الدين فريضة يجب على كل وطنى أداؤها . . .

هناك نزعات الى الشر يجب أن تقاوم ، وهناك أوهام تسود الناس فى مثل هذه الظروف يجب أن ترد الى العقل ، وأن يرشد الناس الى الخير والحق .

لقد حافظنا على تراث الإسلام وآثار الاسلام ؛ فنحن حملة القرآن الـكريم والسنة النبوية المطهرة ؛ ونحن خادمو القرآن الـكريم والسنة المطهرة ؛ ونحن الذين حافظنا على علوم الإسلام وعلوم اللغة العربية ؛ ونحن ورثة السلف فى علومهم وآدابهم ولغتهم وآثارهم وكتبهم ، وقد عرفنا بأننا أمة تحفظ العهد وترعى الجميل .

فمن الحق أن نلحظ هذا وأن يفهمه غيرنا ، وأن ننبه الى أن الاعتداء على هذا البلد الآمن الذى لم يسىء الى أحد ولم يكن من الجناة على أحد ، إجرام فى حق الانسانية ، وفى نظر العدل والخلق . والأمة فى هذا وغيره من الحقوق العامة يجب أن تـكون صفا واحدا ويدا واحدة .

أسأل الله الذى تباركت أسماؤه وتعالت ذاته وعمت رحمته وشملت حكمته ، أن يرينا الحق حقا فنتبعه ، ويرينا الباطل باطلا فنجتنبه ، وأن يبارك لهذه الأمة وللأمم الاسلامية فى جلالة المليك المحبوب فاروق الأول ، أعزه الله وأيده بنصره .

بسم الله الرحمن الرحيم

# تفسير سورة الحديد

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى
شيخ الجامع الأزهر

— ٤ —

﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو ، وزينة وتفاخر بينكم ، وتكاثر فى الأموال والأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ، ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاماً ، وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ :

قيل : اللعب : ما رغب فى الدنيا ، واللهو : ما ألهى عن الآخرة . وقال مجاهد : كل لعب لهو ، لأنه يلهى عن الآخرة .

وهاج : تحرك الى أقصى ما يتأتى له ، أوجفّ بعد الخضرة .

والحطام : الهشيم المتكسر .

والمقصود من هذه الآيات تحقير أمر الدنيا ، وتعظيم أمر الآخرة . والدنيا دار فناء ، والآخرة دار بقاء ، والعاقل لا يبيع الباقى بالفانى . واللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر أمور محقرات عند العقل لا يجوز أن تكون مقصدا للعاقل ، ويجب أن يكون مقصده الأسمى هو المغفرة والرضوان والنجاة من النار .

فى الدنيا لعب ولهو يتفكه الناس بهما ، وأكثر ما يكون الأول للصبيان ، وأكثر ما يكون الثانى للشبان ، وأكثر ما تكون الزينة للنساء ومن فى حكمهن من الرجال . وفيها تفاخر بالأنساب والقدرة وغيرها من الصفات ؛ وفيها مباراة فى الإكثار من المال والولد والجيوش ؛ وكل هذه عرضة للتبدل والزوال ، فهى فانية ، ويغلب أن تقع الحسرات بعد اللهو واللذات ؛ على أنها سريعة الانقضاء ، مذهبة للعمر وللمال .

وقد ضرب الله مثلا للدنيا فى سرعة تقضيها وقلة جدواها ، وفى بهجتها عند إقبالها وعبوسها عند إدبارها ، فقال : إنها كالنبات يستوى على سوقه ويخضر ويعجب به الزراع ، ثم يجف ويصفر ويكون هشيما وحطاما متكسراً ؛ فى الطور الأول جمال وفتنة وسحر للناظرين ، وبهجة للنفس وراحة للعين ، وأنس لا يقدر قدره ، لكن هذا الطور لا يدوم بل ينقضى بسرعة ، ويحل الطور الثانى ؛ وفى هذا الطور الثانى يزول الجمال والسحر والفتنة وراحة العين ، ثم لا يبقى من تلك الأعواد البديعة إلا حطام لا تستريح النفس الى رؤيته ، وتذروه الرياح .

قال سعيد بن جبير : الدنيا متاع الغرور إذا ألهتك عن طلب الآخرة ، أما إذا دعتك الى رضوان الله فنعم المتاع . لكن الله سبحانه لما علم حب النفوس لزخرف الدنيا ، وعلم فتنتها وإعجاب الخلق بها ، أراد أن يحط من قدرها لتضعف شدة الرغبة فيها ، وشدة الحرص عليها ، وليوجه الناس الى الآخرة بالإحسان فى طلب الدنيا ؛ فهى ذات صورتين : صورة منهما على هذه الصفة التى ذكرها الله سبحانه هنا ، وصورة أخرى جميلة أشير إليها بقوله سبحانه : « سابقوا الى مغفرة » ، وسيأتى بيان ذلك . هى متاع الغرور ، أى الغفلة عن الآخرة ، وعما ينبغى أن يكون عليه الحريص اليقظ .

---

﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ :

---

سارعوا الى الأعمال الصالحة التى هى أسباب مغفرة الله ، وأسباب دخول الجنة ، مسارعة المتسابقين . وقد وصفت الجنة بأن عرضها كعرض السماء والأرض مجتمعتين ؛ وإذا كان العرض كذلك كان الطول أكثر امتدادا . والظاهر أن هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع فى أفكارهم ونفوسهم ؛ وأوسع شىء يقع فى نفوسهم هو مقدار السماء والأرض . وقد جاء فى آية آل عمران : « وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » ، ولا أرى فرقا بين الآيتين فيما تدلان عليه من السعة ، لأن السماء تطلق ويراد بها السموات كما فى قوله سبحانه : « ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سموات » ، فتكون الآية فى آل عمران قرينة على أن المراد بالسماء هنا الجمع . هذا إذا كان الغرض التحديد ؛ أما إذا كان الغرض إفادة السعة لا غير فالأمر ظاهر . وقال بعض المفسرين : إن البشارة هنا أعم من البشارة فى سورة آل عمران ، لأن البشارة هنا للمؤمنين ، وفى آل عمران للمتقين . ولا أرى ذلك . ويجب أن يحمل المؤمن هنا على المتقى ، لأن قواعد الاسلام العامة تقضى بأن عصاة المؤمنين

يدخلون النار أولاً ويطهرون فيها ثم يدخلون الجنة ؛ فالجنة لم تعدّ لهم وإنما أعدت للمتقين ؛ وإذا جاز أن يقال إن الجنة أعدت لهم بعد دخولهم النار ، جاز أن يقال إن النار أعدت لهم لأنهم سيدخلونها أولاً . وحمل الآيات بعضها على بعض أولى .

« ذلك فضل الله » : من الناس من قال : إن نعيم الجنة تفضل محض من الله سبحانه غير مستحق بالعمل ، واستدل بهذه الآية ؛ ومن الناس من قال : إنه مستحق بالعمل . وعندى أنه لا تنافى بين كونه مستحقا وكونه فضلا ، فالذى جعله مستحقا هو الله صاحب الفضل فى ربط نعيم الجنة بالأعمال الصالحة ، وهو الذى قال : « ورحمتى وسعت كل شىء ، فسأكتبها للذين يتقون » ، وهو الذى قال : « فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه » ، ووعده حق لا يتخلف ، وهذا الوعد فضل منه ، والله ذو الفضل العظيم ؛ وإذا كان فضله عظيما فثوابه عظيم ، وعطاؤه عظيم .

وصف الله سبحانه الدنيا فى الآية السابقة بأنها لعب ولهو ، وأنها زينة وتفاخر وتكاثر ، وأنها متاع الغرور ؛ وطلب فى هذه الآية المسابقة الى الأعمال الصالحة الموصلة الى الجنة والمغفرة ، وهذه المسابقة فى الدنيا لا شك ؛ وإذا كان ذلك كذلك فللدنيا صورتان : صورة جد تكون فيها مطية الجنة ومزرعة الآخرة ، وتكون ثمراتها نعيم الله ورضوانه ومغفرته ، إذا أخلص العبد فى العمل ، واستمتع بزينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، ولازم حدود الله لم يتعدها ، وأدى حقوق المال كاملة ، وحقوق الله كاملة ؛ وصورة لعب ولهو تكون فيها الدنيا مطية النار ، وتكون ثمرتها غضب الله وسخطه ، إذا كاثر بالأموال والأولاد ، وافتخر واختال ، وبخل وحمل الناس على البخل ، واسترسل فى الشهوات ، وأضاع حقوق الله وتعدى حدوده ، وظلم عباد الله لجمع المال من غير وجهه ثم اكتنزه . فالدنيا متاع الغرور ، والدنيا متاع العقل والشرع ؛ غير أن أكثر الخلق لما كانوا مشغولين بالدنيا على الصورة التى صورها بها القرآن فى هذه الآية ، أطلق الله فيها القول إطلاقا، وجاء بهذه الصورة على سبيل النص . ولما كان القليلون منهم هم المشغولين بالدنيا على وجهها الآخر ، حبب الله اليهم التسابق فى طلب المغفرة ، ووعدهم الجنة ؛ وكأن هذا إشارة الى الصورة الثانية من صور الدنيا .

---

﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا فِى أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ :

---

اختصت المصيبة عرفا بالنائبة ، ومنه « أوَ لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها » ، « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم » ؛ وقد استعمل أصاب فى الخير أيضا كما استعمل

فى الشر ، ومنه « إن تصبك حسنة تسؤهم ، وإن تصبك مصيبة ... » ، « ولئن أصابكم فضل من الله » . والإصابة فى الخير اعتبرت بالصوب وهو المطر ، وفى الشر اعتبرت باصابة السهم ، وكلاهما يرجع الى أصل واحد . ومعنى برأ : خلق .

ذهب أكثر المفسرين الى حمل المصيبة فى الآية على الشر فقط اعتبارا بالأشهر فيها وباختصاصها عرفا بالنائبة ، وفسروا المصيبة فى الأرض بقحط المطر وآفات الزروع والثمار وغلاء الأسعار وما أشبه ذلك ، وفسروا المصيبة فى الأنفس بالأمراض والأوجاع والفقر وفقد الأهل والولد ، والكفر والمعاصى .

وذهب بعضهم الى أن المصيبة هنا تعم الخير والشر ، بدليل قوله سبحانه : « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » ؛ وأرى ترجيح هذا الرأى الآخر ، لأن الكتاب سواء أريد به علم الله سبحانه أو أريد به شىء غير العلم ، وهو ما يسمى اللوح ، شامل لسعادات الأنفس وشقائها ، وخيرات الأرض وشرورها ، ولا وجه لتخصيص الشرور بأنها ثابتة فى الكتاب .

وإنما خصصت الأرض والأنفس بالذكر مع أن علم الله شامل لما فى السموات والأرض ، ولما هو فى الجنة والنار ، لأن ذلك هو الذى يعنينا الحديث عنه ، وهو الذى نشاهده . لكن إذا أريد بالكتاب ما يسمى اللوح المحفوظ فلا يمكن أن يشمل نعيم الجنة وعذاب النار مما هو غير متناه .



كل شىء من الخير والشر فى الأرض والأنفس والأبدان ثابت فى علم الله قبل أن يخلق الأرض والأنفس والأبدان ، وقبل أن يخلق الخير والشر ، بل قبل أن يخلق العالم ويفطر السموات والأرض . وهذه الحلقات جميعها فى سلسلة الوجود من أول حلقة الى آخر حلقة معلومة لله سبحانه ، مربوطة بأسباب وسنن لا تتبدل ولا تتغير ، كما أن العلم لا يتبدل ولا يتغير ، ولها نظام عام شامل مقدر هو خير كله ، والشر يعرض للأفراد كما يعرض الخير . ذلك كله مكتوب فى لوح العلم ، وذلك على الله يسير ، بل هو واجب لذاته سبحانه ، ولا يمكن إلا أن يكون معلوما مقدرا .

---

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ :

---

الأسى : الحزن . وحقيقته إتباع الفائت بالغم .

والخيلاء : التكبر عن تخيل فضيلة تراءت للإنسان فى نفسه .

والفخر : المباهاة فى الأشياء الخارجة عن الانسان كالمال والجاه .

والفخور : صيغة تكثير من الفخر .

واللام فى « لكيلا تأسوا » تفيد لغة جعل أول الكلام سببا لآخره .

والمعنى أن الله سبحانه أخبر بأن ما يصيب الأرض والأنفس ثابت فى كتاب لكيلا يشتد حزنكم على ما فاتكم من الخيرات ، ويشتد فرحكم بما أعطاكموه . والله سبحانه لا يطلب أن لا يكون فرح ، وأن لا يكون حزن ، بل يطلب أن لا يكون فرح يطغى ويكون معه الأشر والبطر ، وأن لا يكون حزن يهلك النفس ويفوت عليها ثواب ما سلب من النعمة . أما الفرح بالنعمة والشكر عليها فغير مذموم ؛ وأما الحزن الطبيعى الذى هو غريزة للنفس ، والذى لا يلهيها عن تذكر ثواب الله بالصبر ، فلا يمكن النهى عنه ، وليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن ، ولكن الأمر كما قيل : اجعلوا للمصيبة صبرا ، وللخير شكرا .

والله سبحانه لا يحب المتكبرين الذين يباهون الناس ويفاخرونهم ، لأن الكبر والفخر يبعدان عن تذكر نعمة الله ، ويؤذيان عباد الله . ومن علم أن كل شىء مقدر له فى كتاب ، وأن كل نعمة فمن الله ، توجه بالشكر اليه ، ومن الشكر الاحسان الى عباده بالتواضع وإظهار الخشوع لله سبحانه ؛ وكذلك لا يشتد فرحه بما يناله من الخير ، ولا يشتد حزنه على ما يصيبه من الشر ، خصوصاً إذا تذكر جزاء الصابرين على ما أصابهم ، وتذكر أن عليهم صلوات الله ورحماته . وهذه العقيدة : عقيدة أن كل شىء من عند الله سبحانه ، تحفز النفوس الى طلب الآخرة ، والى التسامح ، والبعد عن المشاحة فى التعامل ، وترك الحسد والحقد . ومن لم يفرح لموجود ولم يحزن لمفقود ، يهون عليه أمر الدنيا ، ويأخذها من ناحية الخير التى تؤدى الى مغفرة الله ورضوانه .

---

﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ، وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ :

---

الذين يبخلون ، بدل من كل مختال ؛ ذلك أن المختال الفخور الذى يطغيه الرزق ويرى المال نعمة توجب العز ، يحرص عليه غالبا ، ويرى الحرص فضيلة يدعو الناس إليها ، فتراه يبخل ، وتراه يأمر الناس بالبخل ، ويعده مذهبا ورأيا محمودا يستحق الدعوة والاحتجاج له ؛ لكن الله غنى عن الإنفاق ، محمود فى ذاته ، لا يضره إعراض الناس عن الانفاق ، ولا يضره ألا يتقرب الناس إليه بالبذل ، فمن يتول منهم ويعرض عن أوامره فهو الظالم لنفسه ، وهو الذى حرمها الأجر ، والله غنى حميد .

وهنا شىء لا أرى أن أفوته ، وأرى من الواجب أن أقول كلمة فيه :

أكثر العلماء من التعلق بهذه الآيات « ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى

كتاب من قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ، والله لا يحب كل مختال فخور » ، والاستدلال بها على مذاهبهم ؛ فالجبرية وجدوا فيها دليلا على الجبر ، لأن ما هو فى كتاب الله لا يمكن أن يتخلف ، ولابد من حصوله ، فلا يقدر العبد على مخالفته ؛ والقدرية وجدوا فى قوله « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » مستندا للاختيار والتمكن من فعل الفرح وتركه والحزن وتركه . والمرتاض على الاستدلال ، والملم بقواعد الدين العامة ، ومن تهديه الفطرة والبديهة الى الحق ، يعجب من الجبرية ويرثى لهم ، كما يشفق على القدرية .

الأمة مجمعة على شمول علم الله سبحانه للأشياء ، لا فرق فى ذلك بين قدرى وجبرى ؛ ومجمعة على أن علمه حق مطابق للواقع ، وسيطابق الواقع كلما برز منه شيء الى الوجود ؛ ولو لم يكن الأمر كذلك لا نقلب علمه جهلا ، ولو لم يكن كذلك لكان جاهلا ؛ تعالى الله سبحانه عما يقول الظالمون .

والأمة مجمعة على فائدة إرسال الرسل ؛ والله يقول : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » ، فهو يقرر أنه لا يعذب أحدا إلا بعد قطع العذر ، وبعد البيان ونصب الأدلة « إن علينا للهدى وإن لنا للآخرة والأولى » . والأمم جميعها لا فرق بين المتدينين وغيرهم مجمعون على فائدة التربية والتهذيب ، وفائدة القدوة الصالحة ، وعلى ضرورة وضع القوانين الزاجرة لحماية الناس بعضهم من بعض .



هذا كله يوجب بلا ريب اعتراف البشر واعتراف الأديان بوجود الاختيار عند الانسان ، وبأنه يستطيع اختيار أحد الطريقين : طريق الخير أو طريق الشر . ويؤكد هذا أيضا قول الله سبحانه : « وهديناه النجدين ، فلا اقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة ؟ فك رقبة » الى آخر الآية ؛ وقول الله سبحانه : « فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه » ؛ وقول الله سبحانه : « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » ؛ وقد وعد المتقين الجنة ، ووعد العصاة النار . ولا شبهة بعد هذا فى أن القول بالجبر يصادم العقل ، ويناقض ما أجمعت عليه الأمم ، ويهدم حكمة إرسال الرسل ، وحكمة الشرائع ، سواء أكانت وضعية أم سماوية ؛ والقائلون به يجب عليهم أن يتركوا أنفسهم فى الحياة تسيرها الرياح كما تشاء ، وليس لهم أن يتعلقوا بقواعد التهذيب ، وليس لهم أن يلوموا فاسقا ولا كافرا ، ولا مرتكب أية كبيرة أو أية معصية . وهذا قول نعوذ بالله منه ومن شروره . واتفاق الأمم جميعها فى القديم والحديث على خلافه دليل على أنه مناقض للفطرة كما هو مناقض للعقل .

نعود الى الحديث عن علم الله وعن إثبات كل شيء فى الكتاب ، فنقول : إن علم الله سبحانه يجب أن تتبعه إرادته ، والعلم صفة انكشافية لا إلزام فيها . والعلم الصحيح هو المطابق للمعلوم

مطابقة تامة ، فلا أثر لعلم الله سبحانه فى أفعال العباد ، لأن أفعال العباد لا تتبعه ، بل علم الله هو الذى يتبع أفعال العباد ؛ والله سبحانه فى مرتبة وجوده قبل أن يخلق الخلق قدر الخلق ووضع هذا النظام التام الذى هو خير كله ، والذى يعرض فيه الخير والشر للأفراد ، أما النظام نفسه فلا يعرض له الشر بحال ، لأنه هو الصادر عن الجود ، وعن الحكمة ، وعن العلم التام ؛ وقد علم الله سبحانه ما سيختاره كل أحد من خلقه فوضعه فى كتاب ؛ وفعل العبد تابع لاختياره المحض لا ارتباط له بالعلم إلا ذلك الارتباط الحاصل بين العلم والمعلوم ؛ وإذا كان ذلك كذلك فلا دلالة فى الآية على الجبر ، وهى كغيرها قد تدل على الاختيار .

لكن القدر سلوى المؤمن ، والمؤمن مطلوب منه أن يتحرى وجوه الصواب ، ويروض نفسه على الفكر وسؤال أهل الذكر ، وعلى التدبر وأخذ الحيطة ، وتقليب وجوه الرأى ، ومشاورة العقلاء ؛ فإذا قدر له أن يصيب الخير ووجه الحكمة وينال النعمة ، طلب الله سبحانه منه ألا يطغيه الفرح وتطغيه النعمة ، وأن يذكر أن هذه النعمة ثابتة فى كتاب لم يكن هناك بد من حصولها ، ولم يكن هناك بد من اختيارها إذا كانت مما تقع تحت الاختيار ؛ وإذا قدر له الأخرى وأصابه شر ، طلب الله منه ألا تذهب نفسه حسرات ، وأن لا يلهيه الحزن عن تذكر ثواب الله ، وأن يذكر أن هذا مقدر فى كتاب ، ولم يكن هناك مفر منه ، ولم يكن هناك بد من أن يختاره إذا كان ذلك مما يقع تحت الاختيار .

والحق أن هذا تهذيب من الله سبحانه ، إذا روعى كان المؤمن دائما رضى النفس ، صابرا على البلاء ، غير نخور بالنعمة ، وكان مطمئنا ، هادئ البال ، مثلوج الصدر ، غير ضجر بالحياة ولا برم بها ، ولا مزهو بالنعم يدل على الناس بما أعطاه الله .

أشرت فيما مضى الى أن هذا النظام كله خير إذ هو صادر عن الجواد الكريم ، وكله حكمة لأنه صادر عن العليم الحكيم ، فلا يعرض له الشر قط ، وكله خير ، وإذا كان هناك فى الوجود شر فذلك الشر يعرض للأفراد ، ويعرض للجزئيات . وإذا لاحظنا هذا أمكن أن تعرض لنا شبهة الجبر ، وهذه الشبهة لا يمكن أن تعرض من ناحية التسجيل فى الكتاب ، ولا من ناحية أى دليل آخر غير هذا ؛ لكن عروض الشبهة ينفيه العقل ، والأدلة القائمة ، وإجماع الأمم ، والفطرة . والبحث عن التوفيق بين ما تهدى إليه الفطرة وما يهدى إليه العقل من أن النظام خير كله ، بحث عن سر القدر لا يجوز للمؤمن أن يدخل فيه وأن يعدو طوره .

# السيرة المحمدية
## تحت ضوء العلم والفلسفة

### الجهاد الأدبي بين الجهاد الحربي — صلح الحديبية وما أحدثه من هدم الوثنية

فى السنة السادسة من الهجرة أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بأنه يريد العمرة ؛ والعمرة هى الطواف بالبيت فى غير وقت الحج ؛ وطلب الى الأعراب المحيطين بالمدينة أن يخرجوا معه ، ولكنهم تلكأوا ثم قالوا له : قد شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا . وكان السبب الصحيح فى تثاقلهم أنهم ظنوا أن المشركين يفتكون بالمسلمين ؛ وقد أشار الى ذلك الكتاب الكريم فى قوله تعالى : « سيقول لك المخلفون من الأعراب (١) شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا ، يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ، قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا ، بل كان الله بما تعملون خبيرا . بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا ، وزين ذلك فى قلوبكم ، وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا » أى هالكين .

فتركهم النبي صلى الله عليه وسلم وخرج فى ألف وأربعمائة من أصحابه ليس عليهم من السلاح شىء غير السيوف ، وساروا حتى وصلوا عسفان ، فجاءه الخبر بأن قريشا أحست بمجيئهم وأجمعت على صدهم ، واستعدت للحرب تحت قيادة خالد بن الوليد ( ولم يكن أسلم ) . فاتبع المسلمون طريقا غير الطريق المعروفة ، فلم يشعر القرشيون إلا والمسلمون بجوارهم فى مستوى سهل يملك مكة من أسفلها . وأمر النبي أصحابه بالنزول فى أقصى مكان اسمه الحديبية فيه بئر تحمل هذا الاسم . وهناك أقبل سفير لقريش يدعى بديل بن ورقاء يسأل عن سبب قدوم المسلمين . فأخبره النبي بأنه جاء معتمرا .

ثم أرسلوا حليس بن علقمة سيد الأحابيش ، وهم أعراب لا أحباش كما يتوهم بعضهم ، فلما قدم على المسلمين وجدهم يلبون ، فعلم من يريد العمرة لا الحرب ، فعاد الى قريش وأخبرهم بأن القوم جاءوا معتمرين ، ولا مهم على منعهم .

فقالوا له أنت أعرابي وليس لك علم بالمكائد ، وأرسلوا عروة بن مسعود الثقفى سيد أهل الطائف ، فأقبل على رسول الله وكلمه قائلا : يا محمد قد جمعت أوباش الناس وجئت الى عشيرتك لتفضها بهم . إن قريشا قد عاهدت الله أن لا تدخلها عليهم عنوة ، وأيم الله لكأنى بهؤلاء

---

(١) الاعراب : سكان البادية من العرب . والعرب : اسم جنس ، ويطلق على المتحضرين .

قد انكشفوا عنك . وكان عروة يتكلم وهو يمس لحية النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان المغيرة ابن شعبة يقرع يده كلما أراد ذلك .

ثم رجع عروة وقد أدهشه ما يجده رسول الله من تبجيل أصحابه له ، فقال لقومه : يا معشر قريش والله لقد جئت كسرى وقيصر فما رأيت ملكا فى قومه مثل محمد فى أصحابه . فاقبلوا ما يعرضه عليكم فانى أخاف أن لا تنصروا عليه .

فتأثرت قريش مما قاله عروة لهم ولكنها أصرت على المشارّة . واتفق أن رسول الله رأى أن يرسل عثمان بن عفان فى عشرة من أصحابه سفيرا من قبله لإبلاغ قريش ما قصده من مجيئه . فبلغ عثمان رسالته الى قريش . فقالوا له : إن محمدا لن يدخلها علينا عنوة ، وحبسوه هو وأصحابه عندهم . فشاع عند المسلمين أن عثمان قد قتل .

بيعة الرضوان :

لما ذاع خبر قتل عثمان دعا النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه لمبايعته على الموت فى قتال المشركين ، فبايعوه على ذلك تحت شجرة هناك سميت بعد ذلك بشجرة الرضوان ، ونسبت إليها تلك البيعة .

وكانت قريش ، وقد اعتزمت أن تلجأ الى الشدة ، قد أرسلت خمسين رجلا تحت قيادة مكرز بن حفص ليطوفوا بعسكر المسلمين عسى أن يصيبوا منهم غرة ؛ فشعر بهم الحرس فأسروهم وأفلت قائدهم . فلما بلغ ذلك قريشا أرسلت كتيبة لمناوشة المسلمين ، فأسر المسلمون منهم اثنى عشر رجلا ، وقتل من المسلمين واحد .

عند ذاك خشيت قريش مغبة هذا المركب الخشن ، فلانت عريكتها ولجأت الى الملاينة ، وأرسلت سفيرا من قبلها هو سهيل بن عمرو طالبة الصلح . فلما قابل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا محمد إن الذى حصل ليس من رأى عقلائنا ، بل هو شىء قام به السفهاء منا ، فابعث الينا بمن أسرت . فقال له النبي : حتى ترسلوا الذين عندكم .

عند ذاك أرسلوا عثمان والعشرة الذين كانوا معه ، وقدم سهيل الشروط التى تطلبها قريش وهى أربعة :

(١) تقرير هدنة بين قريش وبين المسلمين أربع سنين .

(٢) إذا لجأ رجل من قريش الى المسلمين فعليهم رده ، وإذا فر واحد من المسلمين الى قريش فليس عليها رده .

(٣) أن يعود المسلمون هذا العام بغير عمرة ، ويأتوا فى العام الذى يليه فيدخلوا مكة بعد أن تخليها لهم قريش ثلاثة أيام ، ولا يكون معهم من السلاح إلا السيوف والأقواس .

(٤) من أراد أن يدخل فى عهد محمد من غير قريش فله ما أراد ، ومن طلب أن يدخل فى عهدقريش فله ما أراد كذلك .

فقبل النبي صلى الله عليه وسلم هذه الشروط دون تردد ، وداخل المسلمين منها أمر عظيم ، وأجمعوا على أن يكلموا النبي فيها . فكان مما قالوه له : يا رسول الله كيف نرد الى المشركين من جاءنا منهم مسلما ، ولا يردون هم الينا من فر اليهم مرتدا ؟

فقال لهم النبي : إن من ذهب منا اليهم فأبعده الله ، ومن جاءنا منهم فرددناه اليهم فسيجعل الله له مخرجا .

وبلغ من شدة وقع هذا الصلح على المسلمين أن عمر بن الخطاب نفسه قصد الى أبى بكر وأظهر امتعاضه منه . فقال له الصدّيق : إنه رسول الله وليس يعصى ربه ، وهو ناصره .

فلم يقتنع عمر بما قاله له صاحبه ، وذهب الى رسول الله ، وقال له مثل ما قال لأبى بكر .

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ، ولن يضيعنى .

فاستدعى النبي أوس بن خولة وأمره أن يكتب الشروط . فاعترض سهيل وطالب أن يكون الكاتب على بن أبى طالب أو عثمان بن عفان .

فأمر النبي عليا أن يكتب ، وأملاه بسم الله الرحمن الرحيم .

فاعترض على ذلك سهيل وقال : إن قريشا لا تعرف إلا باسمك اللهم .

فضج المسلمون من هذا التشدد ، وأمر عليا أن يكتب باسمك اللهم .

ثم قال له اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله .

فاعترض سهيل على ذلك ، وقال : لو كنا نعرف أنك رسول الله لم نقاتلك ولم نصدك عن البيت ، ولكن اكتب باسمك واسم أبيك .

فقال النبي لعلى : امح رسول الله ياعلى . فصعب عليه أن يمحوه ، فتناول النبي الكتاب ومحاه بيده ، وقال لعلى اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو .

بعد كتابة هذه الشروط وتسلّم كل من المعسكرين نسخة منها ، وأصبحت نافذة ، أقبل رجل من المسلمين يدعى أبا جندل بن سهيل لاجئا الى المسلمين ، وكان القرشيون قد منعوه من الهجرة . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : إننا قد عقدنا مع القوم صلحا وأعطيناهم وأعطونا عهدا فلا نغدر بهم . فاصبر واحتسب فإن الله جاعل لك وللمستضعفين مخرجا .

لما تم أمر التعاهد أمر رسول الله أصحابه أن يتحللوا من عمرتهم وذلك بأن يحلقوا رءوسهم ، وينحروا هديهم . فأصابهم من ذلك كرب عظيم حملهم على عدم المبادرة بالامتثال . فدخل النبي على زوجته أم سلمة ، وكان قد استصحبها معه ، وقال : هلك المسلمون ، أمرتهم فلم يمتثلوا .

فقالت له : يا رسول الله اعذرهم ، فقد حملتهم أمرا عظيما بهذا الصلح ، وكانوا يريدون أن يفتحوا مكة ، فهم لذلك مكروبون ؛ فابدأ يا رسول الله بما تأمرهم به ، فاذا رأوك فعلت اتبعوك . فاتبع النبي مشورتها ، فلما رآه المسلمون يتحلل من العمرة فعلوا مثل ما فعل ، وعادوا معه .

ما كاد المسلمون يستقرون فى مدينتهم حتى لحقت بهم أم كلثوم بنت عقبة أخت عثمان لأمه ، فطلبها المشركون . فقالت : يا رسول الله إنى امرأة ، وإن أرجعت اليهم فتنونى فى دينى ، فنزل على النبي فى ذلك حكم وهو قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ، الله أعلم بإيمانهن ، فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار ، لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ، وآتوهم ما أنفقوا ، ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن ، ولا تمسكوا بعِصَم الكوافر ، واسألوا ما أنفقتم ، وليسألوا ما أنفقوا ، ذلكم حكم الله يحكم بينكم ، والله عليم حكيم » .

مؤدى هذا الحكم أن المرأة المؤمنة إذا جاءت مهاجرة استحلفت بأنها ما خرجت رغبة بأرض عن أرض ، ولا من بغض زوج ، ولا لالتماس دنيا ، ولا لرجل من المسلمين ، ولكن حبا لله ولرسوله ؛ فان حلفت فلا ترد ويعطى زوجها المشرك ما أنفقه عليها . وكذلك يفعل مع الزوجة المشركة فترد الى أهلها بعد أن يعطوا زوجها المسلم ما أنفقه عليها .

وحدث أن أبا بصير عتبة بن أسيد الثقفى فر الى رسول الله فأرسلت قريش فى أثره رجلين يطلبان تسليمه اليهما . فأمره صلى الله عليه وسلم بالرجوع معهما . فرجع مع صاحبيه . ولما قارب ذا الحليفة عدا على أحد حارسيه فقتله وهرب منه الآخر . ورجع الى رسول الله ثانية قائلا له : قد وفيت ذمتك . فقال له : لا ، اذهب حيث شئت ولا تقم بالمدينة . فخرج الى ناحية على طريق الشام تمر به تجارة قريش ، فأقام به ، واجتمع به نفر ممن كانوا مسلمين بمكة ونجوا ، ولحق به أيضا أبو جندل بن سهيل اللائذ الأول ، وأخذوا يقطعون الطريق على تجارة قريش ، فاضطر المشركون أن يرسلوا الى رسول الله يرجونه إبطال هذا الشرط من المعاهدة ، فقبل منهم ، ومحا الله من تلك المعاهدة ما كان يجد منه المسلمون ألما ممضا .

التأثير العظيم الذى أحدثه صلح الحديبية :

روى الامام أحمد وأبو داود والحاكم عن مجمع بن حارثة الاوسى قال : شهدنا الحديبية فلما انصرفنا منها وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا عند كراع الغميم ، وهو موضع أمام عسفان ، وقد جمع الناس وقرأ عليهم : « إنا فتحنا لك فتحا مبينا . الآيات » فقال رجل: يا رسول الله أوَ فتح هو ؟ قال : إى والذى نفسى بيده إنه لفتح .

قد يعجب القارئ لأول وهلة أن يصف الكتاب الكريم بالفتح المبين ما اعتبره جيش برمته ضعفا واستسلاما ، ماعدا واحدا هو أبو بكر .

وقد رأى المؤمنون بأعينهم ثمرة هذا الصلح ، وتبين أنه كان أجل أثرا وأعظم عائدة على جماعتهم من أى فتح تقدمه ، بل رأوا أنه كان يجب أن توجد هـذه الهدنة لتمهد السبيل أمام الاسلام بفتح القلوب له من طريق الاقتناع العقلى ، لا من طريق السيف وحـده . فان كل فتح فى تاريخ البشرية اعتمد على القوة وحدها انهار عقب قيامه مباشرة ، ما دام لم يصحبه تأثير أدبى فى النفوس تتألف منه عقيدة تخالط العقول والقلوب ، وتصبح بذلك حاجة روحية للقائمين به .

فالحق سبحانه وتعالى ، الذى كتب للاسلام أن تكون له دولة تُحدث فى العالم من ضروب الانتقالات الأدبية والاجتماعية ما لم تحدثه الفتوحات الـكبرى مجتمعة ، أراد أن يكثر عديد الذين يصبح لهم الاسلام عقيدة متغلغلة الى أعمق ما تصل اليه عقيدة من ضمائرهم ، ليقوموا به كحاجة قلبية لهم ، الى جانب ما هو عليه كحاجة اجتماعية لوجودهم . وكيف يتسنى هذا فى وسط المعارك الدامية ، والسخائم المستعرة ؟ فـكان لا بد من وجود هدنة يُلقَى فيها السلاح جانبا مـدة كافية ليتمكن العقلاء من الناحيتين من التقابل والتفاهم ، والأخـذ والرد ، والاقناع والاقتناع ، حتى يكون فى الجماعة رجال كثيرون انضموا اليها منقادين لأصوات ضمائرهم ، لا مستسلمين لعامل المنفعة ، فلا يلبثون بعد ارتفاع اليد الماسكة عنهم أن يعودوا لما كانوا عليه من جاهلية وما ورثوه وألفوه من وثنية .

من أراد أن يعرف الفرق بين هاتين الحالتين بدليل محسوس ، أحلناه الى حقيقة تاريخية وهى : أنه على أثر قيام الجماعة الاسلامية على صورة دولة قبيل فتح مكة وبعدها ، دخلت القبائل العربية المنتشرة فى جزيرة العرب فى الاسـلام ، وكان دخولها فيـه للمحافظة على وجودها ، ولاتقاء قارعة تحل بها من جراء شذوذها ؛ فلما انتقل رسول الله الى الرفيق الأعلى شقوا عصا الطاعة على مَن خلفه ، وعادوا الى وثنيتهم ، ومنعوا الأتاوات التى كانت تتقاضاهم إياها الدولة ؛ فاضطر أبو بكر الى مقاتلتهم وإعادتهم الى الطاعة بالقوة . وكان هذا العمل مما يستحيل حدوثه لو كان السواد الأعظم من مقيمى تلك الدولة على شاكلة هذه القبائل التحقوا بالاسلام طلبا للمصلحة ، لا عن اقتناع راسخ بحقيقته .

ولـكن الذى كان أن السواد الأعظم من أولئك الأصحاب والأنصار كانوا يعتقدون عقيدة راسخة بأنهم يمثلون دينا هو حاجة روحية لهم ، ويقومون بنظام اجتماعى وأدبى سينقذ الانسانية من أدوائها القاتلة ، وأنه سيعلو ويمتد حتى يؤتى أهله بخلافة الله فى الأرض ، ويعيش الناس فى رعايته على أكمل ما تكون عليه الانسانية من سعادة مادية ومعنوية . هذا العامل الأدبى دفعهم لأن يبذلوا أموالهم وأرواحهم فى سبيل الذياد عن حوضه ، والدفاع عن بيضته ، وإعادة المنشقين عنه الى حظيرته .

فأنت ترى أن هذا العامل الأدبى الذى أدت اليه العقيدة الراسخة ما كان لينتشر فى ألوف

من الناس لو اعتمد ناشروه على القوة وحدها . وكيف كانت تتهيأ البيئة لتبادل الآراء فيه ، وإقامة الأدلة عليه ، لولا عهد طويل من السلام يحدث فيه اختلاط بين رجال القبيلين يفضى كل منهم الى خصمه بما هو عليه ؟

هذا من لباب العلوم الاجتماعية التى لم يفتح بها على الناس إلا فى القرون المتأخرة ؛ ناهيك أن الناس عز عليهم أن يفهموا ما سماه كتابهم فتحا مبينا ، فى الوقت الذى كانوا يعتقدون فيه أنه مظهر من مظاهر الاستخذاء والتسليم لعدوهم .

ولم يطل العهد على الذين أنكروا هذا الصلح ، فقد تجلت لهم حكمته فى أجلى مظاهرها بعد عقده بسنتين عند فتح مكة . فقد روى سعيد بن منصور باسناد صحيح عن الشعبى فى قوله تعالى : « إنا فتحنا لك فتحا مبينا » أنه قال : « لم يكن فى الاسلام فتح قبله أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت الهدنة ، ووضعت الحرب أوزارها ، وأمن الناس بعضهم بعضا ، والتقوا وتفاوضوا فى الحديث والمنازعة ، لم يُكلم أحد ذو عقل فى تلك المدة فى الاسلام إلا دخل فيه . ولقد دخل فى تينك السنتين مثل من كان دخل فى الاسلام قبل ذلك أو أكثر ، ويدل عليه أنه صلى الله عليه وسلم خرج الى الحديبية فى ألف وأربعمائة ، ثم خرج بعد سنتين الى فتح مكة فى عشرة آلاف » . اه

لا جرم أن هذا من أعظم دلائل النبوة ، فان إقدام النبى على عمل استنكره أصحابه كلهم ، والتشدد فى إمضائه الى هذا الحد ، لم يكن من عادته صلى الله عليه وسلم ؛ فقد أثر عنه أنه كان يستشير أصحابه ويعمل بمشورتهم فيما لم ينزل فيه وحى . وقد أخبرهم فى هذه المرة بأنه نزل فى هذا الصلح وحى ، ودعاه الكتاب الكريم بعد إتمامه فتحا مبينا ، خلافا لما كان يراه فيه الناس كلهم ، وقد ظهر أنه يستحق هذا الوصف بعد ظهوره بسنتين اثنتين .

لو كانت الأمور تجرى على عاداتها ، لكان هذا الصلح الذى اعتبره المسلمون مذلا لهم ، قد زاد المشركين غرورا بقوتهم ، وتمسكا بوثنيتهم ؛ أما وقد أنتج عكس ما كان ينتظر منه ، وصدَّق الكتاب فى تسميته إياه فتحا مبينا ، فهذا مما لا يمكن تعليله إلا إذا اعتبر وحيا إلهيا ، لا تدبيرا بشريا .

إن أمثال هذه المعجزات هى التى يعتد بها العلم ، ويرى فيها مظهرا من مظاهر الاتصال بعالم أرفع من هذا العالم ، يُمد منه الإنسان بما لا تعطيه الطبيعة المجردة من خطط العمل ، ولا سيما فيما يتعلق بالشؤون الاجتماعية التى لا يدركها إلا الذين حذقوا العلم بأحوال النفوس ، وطبائع البيئات ، وعوامل التطور ، وأين هم من هذا كله فى ذلك العهد من الظلام الدامس ، وفى تلك البقعة من قرارة البداوة المنحلة ؟

محمد فريد وجدى

# السُّنَّة

## العمل الصالح وقاية من عذاب الله

عن جابر رضى الله عنه قال : « لما نزلت هذه الآية « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعوذ بوجهك . قال : « أو من تحت أرجلكم » قال : أعوذ بوجهك . « أو يَلبِسَكم شيَعاً ويُذيقَ بعضَكم بأسَ بعض » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا أهون ، أو هذا أيسر » . رواه البخارى فى كتاب التفسير.

يتعلق بشرح هذا الحديث أمور : (١) معنى الحديث إجمالا . (٢) طاعة الله وقاية من عذابه الدنيوى والأخروى . (٣) ماذا يجب على المسلمين أن يفعلوه عند الشدائد ليحفظوا أنفسهم من الهلاك .

(١) معنى هـذا الحديث واضح ، لأنه تفسير لقوله تعالى : « قـل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم ... الخ » ، وذلك لأنه تعالى يذكر الناس بقدرته القاهرة ، ويهددهم بالعقاب الصارم الذى حاق بالأمم السابقة فأبادهم . وقد اختلف العلماء فى المعنى المراد بالعذاب فى هذا المقام ، فقال بعضهم : إن العذاب من فوق : هو الرجم ، ومن تحت : هو الخسف . وقال بعضهم : إن العذاب من فوق هو حبس المطر ، ومن تحت هو منع الثمرات . ولـكن التفسير الأول هو المعتمد الذى تؤيده الآيات الأخرى . وعلى كل حال فان عذاب الله للـكافرين شديد فى الدنيا والآخرة . ولـكن الذى ينبغى الاهتمام به حقا هو : هل هذا العذاب الدنيوى يشمل المؤمنين الذين يخالطونهم فى وطن واحد ، أو هو مقصور على الـكافرين والعاصين الذين يجاهرون بالعصيان ؟ وهل هذا العذاب واقع لا محالة ، أو قد رفعه الله تعالى بعد رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم ؟

أما الجواب عن السؤال الأول فسيأتى فى البحث الذى بعد هذا .

وأما الجواب عن السؤال الثانى فان ظاهر هـذا الحديث يفيد أن بعضه واقع لا محالة ، والبعض الآخر قد رفعه الله تعالى بعـد بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما الذى رفع فهو الرجم والخسف ، وأما الذى بقى فهو محاربة بعضهم بعضا ، واختلاطهم فرقا مختلفين على أهواء شتى ، كل فرقة تشايع حاكما خاصا حسبما تهوى أنفسهم ، فينشب القتال بينهم ويختلطون

فيه . وهذا معنى قوله تعالى : « أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض » . ويدل على هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد استعاذ بالله من العذاب الذى من فوقهم أو من تحت أرجلهم ؛ ومعنى استعاذته بالله منه أنه طلب من الله تعالى أن يرفعه عن الناس ولا يعذبهم فى الدنيا بذلك ، فاستجاب الله له . أما العذاب باختلاطهم شيعا وإذاقة بعضهم بأس بعض ، فانه لم يستعذ بالله منه ، بل قال : هذا أهون أو هذا أيسر . ويؤيد ذلك ما رواه ابن مردويه من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « دعوت الله أن يرفع عن أمتى أربعا ، فرفع عنهم ثنتين وأبى أن يرفع عنهم اثنتين : دعوت الله أن يرفع عنهم الرجم من السماء ، والخسف من الأرض ، وأن لا يلبسهم شيعا ، ولا يذيق بعضهم بأس بعض ، فرفع الله عنهم الخسف والرجم ، وأبى أن يرفع عنهم الآخريين » .

ويرى بعض الأئمة أن الخسف والرجم لم يرتفعا وأنهما يقعان فى هذه الأمة ، واستدل لذلك بما رواه الترمذى من حديث عائشة مرفوعا : « يكون فى آخر هذه الأمة خسف ومسخ وقذف » ، وبما رواه أحمد والترمذى من حديث سعد بن أبى وقاص قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية « قل هو القادر » الى آخرها ، فقال : أما إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد» ، وبما رواه أحمد والطبرى من حديث أبي بن كعب فى هذه الآية « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم ـ الآية » قال : « هن أربع وكلهن واقع لامحالة » ، الى غير ذلك من الأحاديث الدالة على وقوع العذاب الدنيوى بعد بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وتحقيق هـذا المقام يستلزم تفسير قوله تعالى : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » ، وقوله تعالى : « ولو لا كلمة سبقت من ربك لـكان لزاما وأجل مسمى » . فمعنى الآية الأولى أن الله تعالى قد وعد نبيه عليه الصلاة والسلام برفع عذاب الاستئصال والإبادة للأمم الذين كذبوه . ومعنى الآية الثانية أن خروج المشركين عليه وتكذيبهم إياه ومحاربة دينه بكل قسوة وغلظة يستدعى إبادتهم كما أبيدت الأمم الفاجرة من قبلهم ، ولـكن الله تعالى قد وعـد نبيه بقوله : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » برفع هـذا العذاب عنهم ؛ فهو سبحانه يقول لنبيه : ولو لا هذه الـكلمة التى سبقت منى لـكان عذاب الأمم السالفة لا زما لهذه الأمة .

وقد بين الحديث الذى معنا المراد بالعذاب الذى رفع عن الناس بعد بعثة الرسول ، فإنه صرح بأن ذلك العـذاب هو المسخ والرجم الذى يستئصل الأمم ويبيدها ، أما غير ذلك من أنواع العذاب فإنه لم يرفع .

وما ورد فى الأحاديث التى تدل على أن الخسف والرجم لم يرتفعا بعد بعثة الرسول وأنهما سيقعان لا محالة ، لا ينافى ذلك ، فإن الأحاديث الدالة على أن الله رفع هذا النوع من العذاب بعد بعثة رسول الله ليس فيها ما يدل على رفعه دائما ، بل الآية تدل على أن رفعه محدود له أجل

مسمى ، كما يدل لذلك قوله تعالى : « ولو لا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى » ، فإن قوله : « وأجل مسمى » معطوف على « كلمة » . والمعنى : ولو لا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان عذاب الاستئصال لازما لكل أمة تجاهر ربها بالعصيان وتكفر بآياته وتحارب رسله الذين يريدون بهم الخير . ولهذا قال فى فتح البارى : إن طريق الجمع بين هذه الأحاديث أن الإعادة المذكورة فى حديث جابر ( الذى نشرحه الآن ) وغيره مقيدة بزمان مخصوص وهو وجود الصحابة والقرون الفاضلة ؛ وأما بعد ذلك فيجوز وقوع ذلك فيهم . ومعنى ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم قد قبلت استعاذته من هذا النوع من العذاب وأجل تنفيذه الى أجل مسمى ، وهو الذى يريد الله فيه أن يبطش بالفجار الذين خرجوا عليه وعلى نظمه المعقولة النافعة واتبعوا أهواءهم وشهواتهم بعد أن أمهلهم أزمنة كثيرة وقرونا طويلة .

( ٢ ) مما لا ريب فيه أن فساد الناس وخروجهم على ربهم يستوجب النقمة ويستنزل العذاب ، ولكن قد يكون من الناس الفجار من لا يستحق العذاب ، بل قد يكون فيهم الصالحون الذين يؤمنون بالله ويتبعون ما أمرهم به ؛ فهل هؤلاء الصالحون يذهبون ضحية هؤلاء الفجار ويهلكون مع الهالكين ؟

والجواب عن ذلك أن طاعة الله سبحانه وتعالى وقاية من العذاب الدنيوى والأخروى ، ولكن طاعة الله تعالى ليست مقصورة على أداء العبادات الخاصة بالشخص كالصلاة والصيام ونحو ذلك ، بل طاعة الله تعالى تتناول كل ما أمر الله به أو نهى عنه . فاذا أمر الله المسلمين أن لايتجاهروا بالفسوق والعصيان ، وأن يأمر بعضهم بعضا بالمعروف وينهى بعضهم بعضا عن المنكر ، وأن يستعملوا كل الوسائل التى تجعلهم أقوياء فى أبدانهم وفى أخلاقهم وفى أموالهم وفى قوتهم المعنوية والمادية ، فأهملوا ذلك كل الاهمال واتبعوا كل شىء تدفعهم اليه شهواتهم الفاسدة وتزينه له أهواؤهم الضارة بالخلق والمال والقوة ، فانهم لا يجديهم بعد ذلك أن يصلوا ويصوموا ، أو نحو ذلك من العبادات . نعم إن هؤلاء يثابون على أداء هذه الفرائض ويخرجون عن المسئولية أمام الله تعالى فى الآخرة ، أما فى الدنيا فان الله تعالى قد جعل الحياة فيها منوطة بوسائل معروفة وسنن متبعة ، وقال لنا : يجب عليكم أن تستمسكوا بهذه السنن ، وأن تقاوموا شهواتكم الضارة بكل ما أوتيتم من بطش وقوة ، فان لم تفعلوا خسرتم كل شىء فى هذه الحياة ؛ خسرتم الصحة ، والقوة ، والشرف والكرامة ، وتداعت عليكم الأمم كتداعى الآكلة الى قصعتها . ويؤيد ذلك قوله تعالى : « أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون » ، فان ذلك صريح فى أن الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يرضون عن الفسق والفساد ويقاومونه بكل ما أتيح لهم من قوة ، يكونون بمنجاة من عذاب الله تعالى . وما ورد من أن العذاب الدنيوى يعم المفسدين والصالحين

فانه خاص بالصالحين الذين لا يقومون بالأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ؛ أما الذين يقومون بواجباتهم ولا يبالون بما عساه أن ينالهم من عنت وشدة فى سبيل محاربة الفساد ، فان الله تعالى يجعل لهم سبيلا الى النجاة لا محالة . ولذا قال تعالى : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » ؛ فان معنى ذلك محاربة الشرور والفتن الضارة بالدين والدنيا قبل استفحال أمرها وتفاحش شرها .

فمن المؤكد أن طاعة الله تعالى وقاية من عذاب الله الدنيوى والأخروى ، بشرط أن لا يخلط الانسان قواعد الدين ، فلا يظن مثلا أن الصلاة تغنيه عن العمل لدنياه ، ولا يظن أن الدعاء وقراءة الأحزاب تغنى عن وسائل القوة التى يرهبها أعداء الدين ، لأن الله تعالى قال : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » الى غير ذلك مما ذكرناه غير مرة .

(٣) ولعل قائلا يقول : ماذا يصنع المسلمون الآن ، وقد فرط أسلافهم من قبل وتفرقوا شيعا حتى تمكن منهم الضعف الخلقى ، وزين لهم الشهوات الفاسدة ، وحبب إليهم الخروج على الأدب والحياء ، بل أصبحوا فى حالة صعبة العلاج ، لأنهم يرون التهتك والخلاعة والمجون مدنية لا مناص للإنسانية منها ، ويرون الجد فى القول والعمل جمودا يتنافى مع المدنية والإصلاح ؟

والجواب : أن المسلمين ما داموا مندفعين فى هذا التيار فإنهم سيرون من عقوبة الله وبطشه بهم مالا يخطر لهم على بال ؛ ولا بد أن يسلط الله عليهم أعداء كثيرين يسومونهم سوء العذاب ، أو يأخذهم بنوع من أنواع العذاب الذى أخذ به من كان قبلهم .

فلا مناص لهم الآن من أمرين : الاتحاد ، وترك الرذائل الخلقية جانبا ، فإذا اتحدوا وتجنبوا وسائل العظمة الكاذبة ، وطرحوا الرذائل الخلقية جانبا ، فإن الله تعالى يرفع عنهم مقته وعذابه الذى حاق بالأمم السالفة . وهذا علاج قد يكون عزيزا ، بل قد يخيل للناس أنه محال لأن قادة الأفكار فيهم مختلفون فى مشاربهم ومذاهبهم وأخلاقهم ، وهذا الاختلاف يستحيل معه الوفاق . ولكننا لا نرى شيئا فى هذه الحياة مستحيلا ؛ فما على المسلمين إلا أن يحاولوا هذا الاتحاد ؛ وعليهم أن يحتقروا المفسدين الإباحيين وينزلوهم المنازل اللائقة بهم ؛ وعندذلك يأمنون عقاب الله وسخطه ، والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ؟

عبد الرحمن الجزيرى

## الحلم يقهر الجهل

قال شاعر حكيم :

وذى رحم قلمت أظفار جهله ... بحلمى عنه حين ليس له حلم
إذا سمته وصل القرابة سامنى ... قطيعتها ، تلك السفاهة والإثم
فداويته بالحلم والمرء قادر ... على سهمه ماكان فى كفه السهم

# التصوف والمتصوفون

## — ٣ —

كان النظام يقضي علينا بأن نتناول فى هذا المقال بعد الذين قد مناهم من أعيان المتصوفين ، ذا النون المصرى ، وأبا يزيد البسطامى ؛ ولكن لما كنا قد أشرنا الى هذين المتنسكين فى فصل نشرته لنا هذه المجلة منذ أعوام ، فقد آثرنا أن نتركهما تجنبا للإعادة ، وإن كان لا يفوتنا أن نقرر أن ثانيهما وهو البسطامى يعتبر أحد مؤسسى التصوف النظرى الذى أسسه أصحابه على فكرة وحدة الوجود ، وأنه كان أول من نشر فكرة « الفناء » فى البيئات العربية ، وأن طريقته تدعى حينا بالطيفورية ، وحينا بالبسطامية ، ولا تزال بقاياها الى هذا العصر الحديث فى بسطام حيث يوجد قبره . والآن اليك من يلون هذين المتصوفين :

ابراهيم بن أدهم :

لا يعرف التاريخ عنه إلا قصصا مشوبة بالخرافات والأساطير ، فهو يحدثنا أنه أحد أمراء بلخ ، وأنه كان فى أحد الأيام يصطاد الظباء فى جمع من أفراد حاشيته ، فطارد ظبية حتى ابتعد عن أتباعه ، فلما اختلت به الظبية سألته فى لغة فصيحة رشيقة قائلة : ألمثل هذا أنت خلقتَ فى هذا العالم ؟ ومن الذى أمرك أن تعيش على هذا النحو ؟ فلم يكد يسمع هذه العبارات حتى ندم واعتزل الناس ، وعاش عيشة الفقراء يأكل من عمل يديه . وأخيرا ترك العمل وتغلغل فى الصحراء ، لجعل الطعام يأتيه من طريق غير طبيعى ، وأخذ يستقبل الخضر الذى كان يزوره كثيرا ، ويلقى عليه دروسا فى العلم والتنسك .

وتذكر رواية أخرى أنه وهو أمير فى بلخ كان نائما فى غرفته ذات ليلة ، وكان الحارس نائما فوق سطح هذه الغرفة ، فسمع ضجيجا ووقع أقدام فوق السقف ، فسأل عن مصدر هذه الجلبة ، فأطلت كائنات من نوافذ الغرفة وأجابته قائلة : إننا نبحث عن جمال . فسأل إبراهيم قائلا : وهل يبحث عن الجمال فوق السقف ؟ فأجابته الأشباح قائلة : وأنت كيف تحاول الاتصال بالله وأنت جالس فوق العرش ؟ فأثرت هذه العبارات فى نفس الأمير تأثيرا دفعه الى مغادرة قصره وهجران ثروته . ومنذ ذلك العهد انقطع عن العالم وتفرغ للعبادة والتأمل فى مصنوعات الله حتى صار من أجلاء الصوفية ، وأصبحت الوحوش والطيور تأتمر بأمره .

هذه هى الصورة التى قدمتها إلينا الأساطير عن إبراهيم بن أدهم . أما تاريخه الصحيح ،

وكيفية تخليه عن الحياة وانصرافه إلى الزهادة ، ومرتبته الحقيقية بين المتنسكين ، فقد ظلت محجبة عن الباحثين تماما . ولهـذا نحن نكتفى فى جانب هذه الشخصية الهامة بذكر تلك الأساطير التى تشبه أساطير بوذا ، بل لعلها ماخوذة منها ، الى أن تكشف البحوث الحديثة حقيقة أمر هذا الرجل العظيم .

إلى هنا ينتهى الفريق الأول من الطبقة الأولى ، وهو فريق العصر الإعدادى ، أو فريق المتنسكين العمليين . وسندرس فيما بعد طائفة من أعيان متصوفى عصر الإزهار ، وهم الذين اشتهروا بآرائهم النظرية المباينة لظاهر الشرع .

غير أنه ليس معنى هذا أن جميع متصوفى عصر الإزهار كانت لهم آراء متعارضة مع الشرع ، كلا ، فان بينهم من لم يؤثر عنه هـذا التعارض كالجنيد والنورى مثلا ، وإنما أكثر أعيان متصوفى ذلك العصر كانوا ذوى آراء نظرية تأثرت بالفلسفة الاغريقية وبالمتنسكين : الهندى والمانوى ، وبوحدة الوجود والحلولية الاسكندريتين ، وبالرهبنة المسيحية ؛ وسنرى بيان ذلك فيما بعـد :

## النورى :

ولد أبو الحسن أحمد بن محمد البراوى فى بغداد ، ولا يعرف بالضبط تاريخ مولده . ولما شب تتلمذ على سرى السقطى عم الجنيد ، فكان ذلك سببا فى الاتصال بينه وبين الجنيد كزميلين ثم كصديقين . وفى أثناء هـذه الدراسة أخذا يتعاونان معا على شرح وبسط بعض النظريات الإلهية والأخلاقية للمحاسبى ، وعلى الأخص نظرية المحبة الإلهية التى كان المحاسبى (فيما يظهر) أول من تناول الكتابة عنها فى البيئات الاسلامية . وقد قرر النورى فى هذه المسألة أن آية هذا الحب الإلهى هى تحمس المؤمنين لأداء العبادات دون أى أمل فى مكافأة ، وليست العبادة التى ينتظر أصحابها من ورائها الجزاء . وقد رأى الحلاج فيما بعد أن المكافأة العليا التى يمنحها الله عباده المطيعين هى رؤيته فى الجنة ، لا ما فيها من متع مادية .

غير أن أصحاب النورى كأبى حمزة البغدادى وأضرابه قد غالوا فى هذه النظرية ، ورمزوا لها برموز مادية سخيفة ، حيث قرروا أن هـذا الحب يقرب صاحبه قربا حسيا من الإله ، فجحد النورى هذه المغالاة ، ولكن أحد خصومهم من الصوفيـة وهو أحمد بن محمد الباهلى أبلغ عنهم الخليفة الموفق ، فأمر باعتقال النورى وأصحابه وهددهم بالموت . ولما كان الجنيد من المتصلين بهذه الجماعة ، فقد فر وخلع لباس الصوفية ، وأعلن أنه فقيه لا يلقى على تلاميذه إلا الشريعة الاسلامية الواضحة .

أما خطة النورى فقد كانت برهان البطولة والشجاعة ، إذ أنه — مع جحوده لهذا الرأى

الذى كان سبب محننه — كان أول من قدم نفسه الى الموت فى هدوء واطمئنان ، فتأثر محتسب الخليفة بهذه الشجاعة وعفا عنهم جميعا .

لم يفقد النورى بعد هذه الحادثة شيئا من تحمسه لما يعتقده ، ولم يعدل عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أيا كان شأن ذلك المخالف ، حتى قيل إنه كان ينهى الخليفة فى عنف عن مخالفة الشرع . وأكثر من ذلك أنه رأى فى أحد الأيام شخصا يحمل وعاء مملوءا بالنبيذ ليدخله الى القصر ، فكسر الوعاء ونهر حامله .

وأخيرا توفى النورى بسبب سقوطه فوق عود مدبب وهو فى حالة الغيبوبة ، وكان ذلك فى سنة ٢٩٥ هـ .

الجنيد ـ حياته ومؤلفاته :

هو أبو القاسم بن محمد الخزاز القواريرى ، وقد ولد وترعرع فى نهاوند ، فلما شب ارتحل الى بغداد ، وبها عرف عددا من أجلاء الأساتذة وتلقى عنهم العلوم المختلفة ، فكان فى الفقه تلميذ أبى ثور الكلبى ، وفى التوحيد تلميذ المحاسبى ، وفى الأخلاق الدينية تلميذ معروف الكرخى ، ثم صار بعد ذلك من أكابر رجال الحديث ، ولكنه بعد اتهام النورى وقف مجهوده العلمى على الفقه . وقد كان من الأساتذة الأساسيين الذين كونوا الحلاج .

كان الجنيد شديد الورع ، ولم يمنعه تصوفه عن التمسك بأهداب الشريعة ، لأنه كان يؤمن بالمبدأ القائل : المتصوف هو الذى لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ، ولا يتكلم بباطن ينقضه عليه ظاهر الكتاب ، ولا تحمله الكرامات على هتك محارم الله . وله تعبيرات صوفية شهيرة ، وشطحات معروفة . وقد توفى فى شوال سنة ٢٩٨ هـ .

أما مؤلفاته الموثوق من صحة نسبتها إليه فمن أهمها ما يلى :

(ا) «كتاب السكر» (ب) «كتاب دواء الأرواح» (ج) «كتاب الفناء» . (د) «كتاب الميثاق» . (هـ) «كتاب الألوهية» . (و) «كتاب آداب الفقر» . (ز) «كتاب التوحيد» . (ح) «كتاب آداب المفتقر الى الله» . (ط) «كتاب سر أنفاس الصوفية» . وله غير ذلك رسائل هامة وأجوبة على أسئلة ذات قيمة .

مذهبه :

صدر الجنيد فى مذهبه عن مسألة الميثاق الوارد فى القرآن ، والذى أقسمت الأرواح بمقتضاه أن تؤمن بالله قبل أن يخلق أبدانها ، واستخلص من هذا أن كل حقيقة الانسان كانت موجودة فى تلك اللحظة التى تعهدت الأرواح فيها لخالقها بالإيمان . وإذاً ، فهذه الحقيقة الانسانية تنحصر فى جوهره الروحانى . أما البدن فباطل لا يقام له وزن . ثم قرر أن مصير

الإنسان قد تحدد نهائيا فى ذلك اليوم الذى عقد فيه الميثاق ، فاختار الله السعداء وانفصل فيهم من الأشقياء . وعبارة الجنيد نفسها هى : « اعتزل الله بهم » أى أن ألوهيته قد انكشفت لهم فى ذلك الوجود النقى الذى كانوا فيه قبل عالم الأشباح ، والذى لا يزال الإله يجذبهم الى العودة إليه من خلال هذه الحياة ، ولـكن هذه العودة لها درجات ، أولاها المعرفة ، وهى تبدأ بالتوحيد ، ثم بتحديد الوحدانية الإلهية ، وهذا التحديد لا يتحقق إلا بجحود الـكيف والحيث والأين وهو التنزيه ، ولـكن الوصول الى هـذه الدرجة لا يكفى فى تحقيق الغاية المثلى ، لأن الله لا يلحق بهذه الغاية إلا من يشاء عن طريق السكر التنسكى ، وهو نوع من الجنون الفجائى والغير الطبيعى يمنحه الله الانسان فيصير بوساطته فى حالة يقول ويفعل فيها ما يشاء دون أن يكون مسئولا عما يقول أو يفعل ، ودون أن يتنزل الإله الى التوفيق بين هذه الأفعال والأقوال وبين أوامره الموحى بها . ومن يتجلى الله عليه بهذه المنزلة ، يستولى عليه بعنف جليل ، ويحوله الى تراب قبل أن يميته ويهلـكه ويدفنه ثم يبعثه دون أن يذكر أى شىء عن حياته الأولى التى ارتقى فيها الى مرتبة السكر .

فى هـذه المرتبة ينعزل الالهى من المـادى . وبعبارة أخرى : نهاية الانسان تعيده الى مبدئه ، أى أن الله يعيد المصطفين عند وصولهم الى الدرجـة العليا الى نفس الحالة الإلهية المحضة التى كانوا عليها قبل حلولهم فى الأشباح ؟

الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

# من صنوف الناس

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « كن عالما أو متعلما ، ولا تكن الثالثة فتهلك » .

أقول : لست أذكر أنى فيما قرأت للحكماء شرقيين وغربيين ، أنى صادفت حضا على طلب العلم أرفع ، وأوقع فى النفس ، وأبلغ فى الإيجاز ، من هذا الحض .

لا جرم ، أنه من جوامع الكلم التى خص بها النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال حكيم :

الإخوان ثلاثة : فأخ يخلص لك وده ، ويبذل لك رفده ، ويستفرغ فى مهمك جهده ؛ وأخ ذو نية يقتصر بك على حسن نيته دون رفده ومعونته ؛ وأخ يتملق لك بلسانه ، ويتشاغل عنك بشانه ، ويوسعك من كذبه وأيمانه .

وقال شاعر :

وما الداء إلا أن تعـلم جاهلا ويزعم جهلا أنه منك أعـلم

# حياة رجالات الإسلام

## أبو بكر الصديق

— ٥ —

### هجرته الى المدينة

أقام أبو بكر رضى الله عنه بمكة ما أقام فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ردءاً للمسلمين ، يحوطهم برعايته ، ويحنو عليهم ، ويعينهم بنفسه وماله ، يفتدى أرقاءهم ، ويفك عانيهم ، ويريش فقيرهم ، ويحملهم الى حيث يأمنون على دينهم وأنفسهم ، حتى أصبح وله فى قلوب المؤمنين ما كتب الله له من الفضيلة الفارعة ، والشرف الأسبق ، والحب الخالد ، وحتى أصبح للمشركين شجا ، وللكفر داء عياء ، يكيده براسخ إيمانه ، ويطعنه فى مقاتله بأشرف خصاله ، فضاقوا به ذرعا ، وجعلوه فى عداوتهم مع النبى صلى الله عليه وسلم عدلا ، وأرادوا بهما كيدا ، فقدروا ودبروا ، وكان الله خير الماكرين .

اشتد الأذى بالصديق رضى الله عنه كما اشتد بسائر المؤمنين ، فهاجروا هجرة الفتح والنصر المؤزر الى يثرب ، حيث المنعة والقوة ، فى سبيل الله ، باذن من النبى صلى الله عليه وسلم ، بعد أن وطأ لهم أواصر الاخاء مع البهاليل من بنى قيلة ، وبقى أبو بكر مع نفر قليل من الصحابة بمكة ، فكان ذلك دافعا لصناديد الكفر الى اشتداد ضغينتهم على المؤمنين ، وقسوتهم فى ألوان الأذى بهم خشية أن يلحقوا باخوانهم ، وصرفوا أكبر همهم الى أبى بكر ، وتفننوا فى إيذائه ، ومنعوه القيام بحقوق ربه ، نخشى أن يتحرك له قومه عصبية لحميتهم فيتفاقم الخطر فى غير عائدة على عقيدته ودينه ، فاستقر رأيه على اللحاق باخوانه مهاجرا الى الله بدينه . قال صاحب المواهب : « وكان الصديق كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة ، فيقول : لا تعجل ، لعل الله أن يجعل لك صاحبا ، فيطمع أبو بكر أن يكون هو » . وهذا مظهر من أعظم مظاهر حفاوة النبى صلى الله عليه وسلم بالصديق ، واختصاصه بنفسه دون غيره من سائر الناس ، وهو أيضا مظهر من مظاهر تعلق نفس الصديق بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وإرادة ملازمته فى غدواته وروحاته .

ويحدثنا الامام البخارى فى الصحيح من حديث طويل عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « وتجهز أبو بكر قِبلَ المدينة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : على رِسْلك ، فانى أرجو

أن يؤذن لى ، فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبى أنت ؟ قال : نعم ، فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه ، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر ( وهو الخبط ) أربعة أشهر ، قالت عائشة رضى الله عنها : فبينا نحن يوما جلوس فى بيت أبى بكر فى نحر الظهيرة قال قائل لأبى بكر : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا فى ساعة لم يكن يأتينا فيها ، فقال أبو بكر : فداء له أبى وأمى ! والله ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمر ا قالت عائشة : فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له فدخل ، فقال لأبى بكر : أخرج من عندك ، فقال أبو بكر : إنما هم أهلك بأبى أنت يارسول الله ، قال : فانى قد أذن لى فى الخروج ، فقال أبو بكر : الصحابة بأبى أنت يارسول الله ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، قال أبو بكر : فخذ بأبى أنت يارسول الله إحدى راحلتى هاتين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بالثمن ، قالت عائشة : فجهزناهما أحث الجهاز ، وصنعنا لهما سفرة فى جراب ، فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب ، فبذلك سميت ذات النطاقين » .

وفى هذا الخبر من فنون المعرفة والأدب ما يجعلنا نقف معه لنزيدها تبيينا وتوضيحا ، لتكون للمؤمنين تبصرة وذكرى ، وللعاملين منار هداية وإرشاد ، وللمصلحين خير أسوة : فأبو بكر رضى الله عنه رأى أن مكة لم تعد صالحة فى ذلك الحين لنشر شرائع الحق فيها ، وأنها عبأت نفسها للوقوف فى وجه الدعوة الجديدة ، وأنها متشبثة بأوثانها ، فاستعد للهجرة زمنا طويلا ، ولكنه كان يتطلع الى صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل يحس إحساسا قويا بمصاحبة النبي صلى الله عليه وسلم فى هجرته ، لأنه اطمأن الى بشارته برجاء أن يجعل الله له صاحبا ، ملوحا الى ذاته الشريفة ، فأعد الصديق لهذا اليوم راحلتين ليحمل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤنة التفكير فى وسائل هذا السفر ، وتدبير أسبابه المادية كدأبه فى جميع مواقفه النبيلة .

ولا يخفى ما أشاعه ذلك فى نفس أبى بكر من البهجة التى صورها فى هذه العبارة الهادئة الرائعة بعد قول النبى صلى الله عليه وسلم له : على رسلك فانى أرجو أن يؤذن لى ، وهل ترجو ذلك بأبى أنت ؟ ولا يفوت أرباب القلوب هنا الالتفات الى مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من التوكل المطلق ، حيث لم يتخذ لهذه الهجرة وهو يرجوها أى سبب من الأسباب المادية ، والى مقام الصديق رضى الله عنه حيث أعد العدة واتخذ الأسباب .

وفى هذا الخبر أبرع تصوير وأدقه لمكانة أبى بكر وآله عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانه لم يكد يأتيه الإذن من الله تعالى بالهجرة حتى يذهب الى بيت صاحبه فى ساعة لم يكن يجيئهم فيها ، ويأمره أن يخلو إليه باخراج من عنده ليسر إليه أمرا هو أخطر ما عرض لامتحان الدعوة فى هذه المرحلة القصيرة ، فيجيبه أبو بكر بأن لا عين عليك ، لأن هؤلاء الذين عندى إنما هم أهلك الذين يشاركوننى فى فدائك بأنفسهم ، فيقول رسول الله صلى الله

عليه وسلم : «فإنى قد أذن لى فى الخروج » ، فيطلب الصديق فى لهفة ، الصحبة ، فيجاب بما يقر عينه . وهنا أعتذر للقلم إذا اعتراه البهر فلم يستطيع تصوير حال أبى بكر فى هذه الساعة التى تحققت فيها أعظم أمانيه ، ثم هو يرجو من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبل منه إحدى راحلتيه ، فيقبلها ولكن بثمنها لتكون هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم متمحضة الى الله تعالى ، وفى هذا تعظيم شأن الهجرة . قال العلامة القسطلانى : « فان قلت فلم لم يقبلها إلا بالثمن وقد أنفق عليه أبو بكر من ماله ما هو أكثر من هذا فقبل ؟ أجيب بأنه إنما فعل ذلك لتكون هجرته الى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام فى استكمال فضل الهجرة الى الله ، وأن يكون على أتم الأحوال » .

وفى هذا الخبر يتمثل فن من فنون أدب الخطاب ، وأدب الحب الروحانى ، فما يكاد أبو بكر يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو فى خطابه يفديه بأبيه وأمه تعظيما لقدره العظيم ، فأين منا هذه القدوة فيما ابتدعناه فى أساليبنا المتحدثة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، حتى أصبح أقربنا الى التأسى من « يصلعم » أو يكتفى مشيرا الى هذه « الصلعمة » بحرف « ص » ؟! فما أحوج المسلمين الى إشعار قلوبهم فى كل لحظة بعظمة النبى صلى الله عليه وسلم ، وإيقاظها بلهج الألسنة وخط الأقلام اقتداء بأعرف الناس بقدر الحياة وأوزنهم للحظات الأزمان ؟ أين نحن من الحياة وقد زعمنا أننا نكتفى بالاشارة الى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بهذه « الصلعمة » الجوفاء حرصا على « الوقت » و « المداد » و « الورق » بالنسبة الى بناة مجد الاسلام وواضعى أساس أعظم دولة فى العالم ، وما كانوا يرون فى ترداد ذكرهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإظهار تعظيمه بالصلاة عليه إلا أشرف حافز لهم على تناول أسباب السيادة العادلة بإيمانهم .

إنهم جدّوا وهزلنا ، وغاصوا على اللباب وتشبثنا بالقشور ، فسادوا وتعبدنا ، وتحرروا وقلدنا ، وتقدموا وتخلفنا . وما أحرانا أن نتأمل قول الصديق الأعظم رضى الله عنه : « إن هذا الأمر لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله ، ولا يحتمله إلا أفضلكم وأملككم لنفسه » .

وفى هذا الخبر يتمثل وزن العقيدة الصادقة فى النفوس العظيمة ، فلا عزازة الوطن ، ولا لصوق المال بالروح ، ولا محبة الأهل والولد ، بأحرى أن تكون فى كفة ميزان مع العقيدة الراسخة إذا لفت فى جوانبها الإيمان بالحق ؛ وما قيمة وطن لا يطمئن فيه المرء على إعلان كلمة الحق ، ولا يستطيع أن يؤدى فيه حقوق خالقه ، ولا يستطيع أن يرد باطلا ، أو ينصر مظلوما ؟ وماقيمة مال لا يعرف فيه حق المنعم به ، ولا يتسنى فيه مواساة الفقراء والمساكين ، ولا يعان به على نوائب الحق ؟ وما قيمة أهل وولد لا يستجيبون لدعوة الحق ، ولا يؤازرون فى سبيل

الله ؟ إن حلاوة الإيمان تجعل كل أولئك فى جانب العقيدة الصحيحة لا يزن عند صاحبها شيئا ، وكذلك كان المؤمنون الصادقون فى صدر الاسلام .

ويتمثل فى هذا الخبر دستور المؤمنين المخلصين إذا احتوشتهم بيئات شملها الفساد فى كيانها الاجتماعى والخلقى حتى لم يعد لصيحة الحق فيها أثر ، بل إن فسادها لاستفحاله يصور لها باطلها حقا ، تدافع عنه ، فتضطهد دعاة الحق ، وتؤذى المصلحين ، وترميهم بكل قاصمة ، وتسد فى وجوههم سبل الارشاد ، فلا يبقى لهم طريق الى قلوبهم ؛ والحق رحمة الله الى الانسانية عامة أينما وجدت ، فإذا استيأس المصلحون أن تنبت بذور الخير فى بيئة انتقلوا الى غيرها حتى تلاقيهم فِطر مكتنزة الحيوية ، لا يغشيها ضوء الحق ، وهناك يستنبتون حتى يستثمروا ، فإذا امتلأت أيديهم وقلوبهم عادوا الى ما استعصى عليهم فطهروه ومزجوا آخرهم بأولهم ، وضموا الى وطنهم أوطانا ، وإلى أموالهم أموالا ، وإلى أهلهم أهلا وولدانا ، وهذا وعد الله تعالى فى قوله : « ومن يهاجرْ فى سبيل الله يجدْ فى الأرض مُرَاغَماً كثيرا وسَعة » . قال جار الله فى الكشاف عند تفسير قول الله جل شأنه : « ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها » : « وهذا دليل على أن الرجل إذا كان فى بلد لا يتمكن فيه من إقامة أمر دينه كما يجب لبعض الأسباب ، والعوائقُ عن إقامة الدين لا تنحصر ، أو علم أنه فى غير بلده أقوم بحق الله ، وأدوم على العبادة ، حقت عليه المهاجرة » .

خرج الصديق رضى الله عنه مهاجرا الى الله تعالى فى صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقيه بنفسه ، وكان أبو بكر مقصودا للمشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يبال بالموت وهم يترصدونهم فى كل مكان . روى عن أسماء بنت أبى بكر أنها قالت : « ولما خفى علينا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا نفر من قريش ، منهم أبو جهل بن هشام ، فخرجت إليهم فقال : أين أبوك ؟ فقلت : والله لا أدرى ، فرفع أبو جهل يده ـ وكان فاحشا خبيثا ـ فلطم خدى لطمة خرج منها قرطى ، ثم انصرفوا » .

وحديث الهجرة ينشر فضيلة للسيدة الجليلة أسماء الصديقية ، فهى كانت ممن اطلع على سر الهجرة ، وكانت مقدرة تمام التقدير خطورة موقف المهاجرين فى تلك الساعة الحرجة ، فلم تفقد من شجاعتها شيئا ، فاذلم تجد ما تربط به على فم الجراب عمدت الى نطاقها تشقه لتعجل لحظات من الزمن يتقدم فيها الرسول وصاحبه الى غرضهما النبيل ، وبذلك كتبت فى بياض التاريخ سطرا خالدا أضاف الى اسمها اسما جديدا كان من مفاخرها الى مفاخر آل الصديق فى الاسلام ؟

صادق ابراهيم عرجون

# اثبات الروح الانسانية حسيا

## أدلة جديدة على مقتضى الدستور العلمى

نشرنا فى العدد الأخير من أعداد السنة الماضية أن العلم اهتدى الى أدلة جديدة على وجود الروح الانسانية مستقلةً عن الجسد ، وأنه قد توصل الى تصويرها خارج الجثمان ؛ فأقام بذلك دليلا محسوسا على بقائها بعد الموت . وقلنا إننا سنترجم ما ألفه فى ذلك الموضوع الأستاذ الكبير ( ارنست بوزانو ) العلامة البسيكوحى الايطالى ، وترجمه الى الفرنسية المسيو ( جبرييل جوبرون ) . وقد نقلنا مقدمته فى ذلك العدد . ومضت الأعداد الأربعة من السنة الراهنة ولم نجد فيها مكانا يتسع لتلك الترجمة ، واليوم نعود لانجاز ما وعدنا به من متابعة النقل فى هذا الموضوع الخطير ، لأنه يعتبر من أعظم الفتوحات العلمية ، التى يحقق الله بها ما وعد به فى كتابه ، من موالاته العالم بالآيات فى الآفاق وفى الأنفس ، حتى يتبين أن ما أوحاه الى رسله هو الحق . ولست أستطيع أن أقدر قدر الانقلاب الأدبى الذى يحدثه اعتراف العلم بوجود الروح وخلودها من طريق أسلوبه المؤسس على الأدلة المحسوسة .

### الطائفة الأولى من تلك الأدلة المحسوسة

كتب الأستاذ المؤلف فى هذه الطائفة نحو عشرين صفحة ، أثبت فيها أن الذين تُبتر بعض أعضائهم يحسون بوجودها إحساسا يقينيا ، مع أن مادتها غير موجودة . فمن بُترت ذراعه أو ساقه ، شعر بوجودها وحركها وفرّق بين أصابعها بارادته ، على حين أنه مبتور الذراع أو الساق المادية .

فرد المنكرون على هذا بقولهم : إن هذا الشعور من المبتور وهمى محض ، لأنه صاحَبَ العضو المبتور سنين كثيرة من حياته ، فلما قطع بقى له الشعور الذى ألفه ؛ وهذا يمكن تعليله بشدة التوهم لا بشىء آخر .

ولكن الأستاذ البسيكولوجى المشهور (وليم جيمس) الأمريكى ، المدرس بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة ، رد على هذا التعليل بايراد ما كتبه العالم الفيزيولوجى الألمانى فالانتان فى كتاب له وهو قوله :

« شوهدت بنت سنها خمس عشرة سنة ، ورجل سنه أربعون سنة ، لم يكن لكليهما إلا يد واحدة صحيحة ، أما الثانية فكانت معيبة إذ كان فيها بدل الأصابع بروزات لحمية لا عظم فيها ولا عضلات . وكان الاثنان رغما عن هذا النقص يشعران موقنين بوجود أصابع فى تلك اليد تنثنى بالإرادة كلما ثنيا تلك البروزات اللحمية الشوهاء . ويشبه هذا ما يشعر به الذين وُلدوا وإحدى يديهم أقصر من الأخرى ، فانهم يؤكدون بأنهم يشعرون أن يدهم القصيرة فى مثل

طول يدهم الطبيعية . وشوهد أشوه آخر يكاد يكون لاساعد لذراعه ، بحيث كانت يده الضامرة تظهر كأنها ملتحمة بالمرفق ، كان يشعر بأن ذراعه طبيعية ، وأن طولها لا يقل عن طول ذراعه الأخرى » . اه

لا شك فى أن شعور المولودين شوهاً بسلامة أعضائهم المعيبة ، يدل دلالة قاطعة على أن هذا الشعور ليس بمجرد وهم ، وأنه يشعر بأن لهم أرواحا على شكل أجسادهم لا يعتريها التشوه الذى يعترى أعضاءهم ، فتبقى سليمة ، ويبقى شعور المشوهين سليما أيضا .

ومما يقوى هذا القول شهادة أهل الكشف من الناس ، وهؤلاء أفراد وهبوا خاصة رؤية المرئيات اللامادية ، والاشعاعات الخفية ، فقد أجمعوا على رؤية الصور الأثيرية للأعضاء المبتورة على حالة طبيعية (١) .

وقد كان عهد الى الأستاذ الدكتور الألمانى الكبير كرنر Kerner أن يعالج شابة عصبية كانت تدرك الأجساد الأثيرية للأرواح ، ورأى من صحة رؤيتها لها مدهشات محققة حملته على وضع كتاب فيها أسماه ( كاشفة بريفورست ) جاء فيه ما يأتى :

« وعند ما كان يتفق للمريضة أن تلاقى شخصا فقد عضوا من أعضائه ، كانت ترى مقابله من جسمه الأثيرى متصلا ببقية الأعضاء ، أى أنها كانت تراها كما كانت ترى صور الأجساد الأثيرية للموتى . هذه الظاهرة المفيدة تسمح لنا بتعليل الإحساسات التى يشعر بها المبتورون بوجود العضو المقطوع ؛ وأن بقاء صورة العضو المبتور غير منظورة ، واتصالها اتصالا مستمرا بالجسم المنظور ، يثبت لنا إثباتا كافيا أنه بعد انهدام الجسم المحسوس تبقى صورته محفوظة بواسطة السيال العصبى » .

نقول : إن الذى يهمنا من نقل هذه العبارة شهادة الأستاذ ( كرنر ) لما يراه أهل الكشف من صور الأعضاء البائنة عن الأجساد الحية ، وما يستدل به هو عن صحة ما يخبر به المبتورون من إحساسهم بوجود أعضائهم إحساسا كاملا كأنه أمر واقع .

ولا عبرة بتعليله ظهور تلك الأعضاء بالاشعاعات العصبية ، لأنه لم يثبت قط أن للقوى العصبية خاصة التشكل ؛ فأنى لها أن تتشكل الى ساعد وكف وأصابع ، أو الى ساق وقدم بجميع مميزاتها على نحو ما كانت عليه قبل أن تبتر ؟ والصحيح أن ما يرى هو صورة الجثمان الأثيرى المتوسط بين الروح والجسد .

---

(١) أيدت البحوث النفسية ما قاله الفلاسفة الأقدمون ، وأهل الكشف من المحدثين ، أن بين الجسد المرئى للانسان والحيوان والنبات ، وبين الروح الالهى المدبر له ، جسدا متوسطا من مادة أثيرية غير قابلة للفناء على صورة الجسد المادى . وقد نقل عن الامام مالك أنه قال عن الروح : إنها صورة كالجسد . فما يراه أهل الكشف الذين نذكرهم هو صورة هذا الجسد المتوسط .

عذر الأستاذ كرنز أنه لم يدرك المباحث الأخيرة التي عملت لإثبات وجود جسم متوسط بين الروح والجسد، مكون من مادة أثيرية لا تبلى، هـو الذي يقيم في الجسم مدى الحياة؛ حتى إذا عجز الجثمان عن حفظه خرج منه على صورة صاحبه، حاصلا على الروح الإلهي الذي أُودعه، وبقي حيا في عالم الأرواح لا يتحيفه تحلل، ولا يعتريه زوال.

ولـكن الدليل الذي يعتبر قاطعا في هذا الموضوع هو ما توصل اليه الباحثون من تصوير تلك الصور الأثيرية التي أخبر عنها أهل الـكشف. وكان أول من وُفق الى إقامة هذا الدليل المحسوس، البحاثة المشهور (ألفونس بوفييه)، فقد اتخذ وسائل علمية، معتمدا على خواص بعض الألوان الناتجة من التحليل الطيفي، فأنجح في تصوير الأعضاء الأثيرية لتلك الأعضاء المبتورة، ونشر تفصيلا وافيا عن الوسائل التي تذرع بها، والنتائج التي وصل اليها، في مجلة بسيشيـكا (Psychica) صفحة ١٩٢ من مجموعة سـنة ١٩٣١، ونقلها عنه الأستاذ إرنست بوزانو في كتابه الذي نحن بصدده، ثم ختم الأستاذ المذكور هذا الفصل بقوله:

« بهذه التجارب الأخيرة نجد أنفسنا، كما ترى، حيال أدلة عملية حاسمة على صحة وجود الأعضاء المبتورة على صورة أثيرية؛ وهذا يؤدي على وجه لا يقل حسما الى صحة وجود الجسم الأثيري للروح داخل الجسم المادي المنظور.

ثم قال:

« هـذا هو البرهان الأساسي الضروري للتدليل (العلمي) على وجود الروح الانسانية وخلودها.

« ونزيد على هذا بأنه لما كانت هـذه الظواهر تمثل الدرجة الأولية لظواهر خـروج الروح من الجسد ثم عودتها إليه في بعض الحالات، فهي تعيننا على أحسن وجه على تـكميل الأدلة التجريبية الضرورية على صحة ما نحن بسبيله؛ وهذه الظواهر في أكمل صورها، عند ما يكون الشبح النفساني المنفصـل عن الجسد حاصـلا على الوعي والعقـل والذاكرة في أتم أحوالها، والخصائص النفسية العلوية كلها، تهيئ لنا مشاهدة محسوسة حافلة بالنتائج النظرية، وهي: أن بقاء الروح الانسانية بعد موت جثمانها المادي، أصبح أمرا تجريبيا يمكن إقامة الدليل العملي عليه، حتى لو اقتصرنا على هذه الظواهر وحدها». اهـ

وبعد: فإننا اقتصرنا على تلخيص الباب الأول من كتاب الأستاذ بوزانو، لأن في تلخيصه غناء، ولـكننا سنأتي على كل ما أتى به من المشاهدات في أبوابه الأخرى لعظم خطرها، وجلال أثرها، في تدعيم عقيدة وجود الروح وخلودها على دعائم علمية جديدة، لا على المنطق فحسب؟

محمد فريد وجدي

# بين لسان الدين بن الخطيب (١)

## وعبد الرحمن بن خلدون

للعلامة ابن خلدون فى النقد الأدبى ، ذهن خصيب ، وآراء حصيفة ، ونظرات تدل على نفاذ بصر ، وإحاطة بخصائص الكلام الجيد ، وتمييز طبقاته ، ومراتب رجاله ؛ وبالوسائل التى لا بد منها لبلوغ الإجادة ، وبالأسباب المباشرة وغير المباشرة لتربية الملكة الشعرية ؛ وما الى ذلك مما يتصل من الشعر بسبب قريب أو بعيد . له فى كل أولئك الأصول الثوابت ، والقواعد ، التى لا يجد الناقد عنها معدلا ، ولا الى الخروج عليها سبيلا .

انظر الى قوله : « اعلم أن لعمل الشعر وإحكام صناعته شروطا ، أولها الحفظ من جنسه ، أى من جنس شعر العرب ، حتى تنشأ فى النفس ملكة ينسج على منوالها ، ويتخير المحفوظ من الحر النقى الكثير الأساليب ، وهذا المحفوظ المختار أقل ما يكفى فيه شعر شاعر من الفحول الاسلاميين ، مثل ابن أبى ربيعة ، وكثير ، وذى الرمة ، وجرير ، وأبى نواس ، وحبيب ، والبحترى ، والرضى ، وأبى فراس ؛ وأكثره شعر الأغانى ، لأنه جمع شعر أهل الطبقة الاسلامية كله ، والمختار من شعر الجاهلية ؛ ومن كان خاليا من المحفوظ ، فنظمه قاصر ردىء ، ومن قل حفظه أو عدم ، لم يكن له شعر » .

وقوله : « ولا يكون الشعر سهلا إلا إذا كانت معانيه تسابق ألفاظه الى الذهن ، ولهذا كان شيوخنا رحمهم الله ، يعيبون شعر ابن خفاجة شاعر شرق الأندلس ، لكثرة معانيه وازدحامها فى البيت الواحد ، كما كانوا يعيبون شعر المتنبى والمعرى بعدم النسج على الأساليب العربية » .

وقوله : « ذاكرت يوما صاحبنا أبا عبد الله بن الخطيب « يعنى لسان الدين » وزير الملوك بالأندلس من بنى الأحمر - وكان الصدر المقدم فى الشعر والكتابة - فقلت له : أجد استصعابا على فى نظم الشعر متى رمته ، مع بصرى به ، وحفظى لجيد الكلام ، من القرآن والحديث وفنون من كلام العرب ، وإن كان محفوظى قليلا ، وإنما أتيت - والله أعلم - من قبل ما حصل فى حفظى من الأشعار العلمية ، والقوانين التأليفية ؛ فانى حفظت قصيدتى الشاطبى : الكبرى والصغرى فى القراءات ، وتدارست كتابى ابن الحاجب فى الفقه والأصول ، وجمل الخونجى فى المنطق ، وبعض كتاب التسهيل ، وكثيرا من قوانين التعليم فى المجالس ، فامتلأ محفوظى من ذلك ، وخدش وجه الملكة التى استعددت لها بالمحفوظ الجيد ، من القرآن والحديث

(١) ولد لسان الدين فى ٢٥ من رجب سنة ٧١٣ ، وتوفى سنة ٧٧٦ . وولد ابن خلدون فى رمضان سنة ٧٣٢ ، وتوفى سنة ٨٠٨ هـ .

وكلام العرب ، فعاق القريحة عن بلوغها . فنظر الىّ ساعة معجبا ، ثم قال : لله أنت ! وهل يقول هذا إلا مثلك ؟ » .

تقرأ هذا وغيره من روائع أصول النقد للعلامة ابن خلدون ، وتراه يطبقها بدقة وعناية ، حتى على نفسه ؛ ولكن يروعك ، ويدهشك ، ويملأ نفسك عجبا ، رأيه فى وزير الملوك بالأندلس من بنى الأحمر : لسان الدين بن الخطيب ، إذ يقول فى الموشحات بعد أن ذكر ابن سهل وموشحته : « وقد نسج على منواله فيها صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب شاعر الأندلس والمغرب لعصره » .

ويقول بعد أن ذكر سلسلة الزجالين : « ثم من بعدهم لهذه العصور صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب إمام النظم والنثر فى الملة الاسلامية غير مدافع ! ! ».

ويقول ـ كما سبق آنفا : « وكان الصدر المقدم فى الشعر والكتابة » .

الى غير ذلك من الأحكام الفضفاضة ، التى يستعصى على النظر قبولها ، ويعسر على الناقد تأويلها . ولقد حاولت أن أردّ ذلك الى عاطفة ودية بين الرجلين ، فعكر علىّ هذا الخاطر ، ما ذكره ابن خلدون فى تاريخه ، من أنه لما كان بالأندلس ، وحظى عند السلطان أبى عبد الله ومخدوم ابن الخطيب ، شمّ من وزيره ابن الخطيب رائحة الانقباض ، فقوض الرحال ، ولم يرض من الاقامة بحال ، ولعب بكرته صوالجة الأقدار ، حتى حل بالقاهرة المعزية واتخذها خير دار . . . ومن المفارقات الغريبة : أن الشيخ ابراهيم الباعونى الشامى يقول : كنت أوثر الاجتماع بابن خلدون بالقاهرة المحروسة للمودة الحاصلة بينى وبينه ، وكان يكثر من ذكر لسان الدين بن الخطيب ، ويورد من نظمه ونثره ، ما يشنف به الأسماع ، وينعقد على استحسانه الإجماع ، وتتقاصر عن إدراكه الأطماع . اهـ

فاصرار ابن خلدون على المغالاة بابن الخطيب ، على رغم المنافسة الخفية بين الرجلين ، هى عقدة الرواية ، وهى موضع الحيرة ، وهى محل النظر .

* * *

لسان الدين بن الخطيب : عالم ، كاتب ، شاعر ، وشّاح ، زجال . وقد نستطيع أن نعدّه فى الصدر من علماء عصره وكتابه ؛ ولكن حكمنا على شعره ، يجب أن نمهد له بنماذج منه ، حتى نهيئ للقارئ الكريم أن يتابعنا فى تعرف حيثيات الحكم ؛ فنقول : قال المقرى فى نفح الطيب :

« ومن أبدع ما صدر عن لسان الدين رحمه الله تعالى ، لا ميته المشهورة ، التى خاطب بها سلطانه حين عاد من المغرب الى الأندلس ، وأعاد الله تعالى عليه ملكه الذى كان خلع منه .

ويقال إن السلطان أمر بكتب هذه القصيدة على قصوره بالحمراء ، إعجابا بها ، وإنها الى الآن لم تزل مكتوبة بتلك القصور التى استولى عليها العدو الكافر ، أعادها الله تعالى للاسلام . وأول هذه القصيدة :

الحق يعلو ، والأباطل تسفل — والله عن أحكامه لا يسأل

قال لسان الدين رحمه الله تعالى : نظمتها للسلطان ، أسعده الله تعالى ، وأنا بمدينة سلا ، لما انفصل طالبا حقه بالأندلس ، كان صنع الله تعالى براعة استهلالها ، ووجهت بها إليه الى رُندة قبل الفتح ؛ ثم لما قدمت أنشدتها بعد الفتح وفاء بنذرى ، وسميتها : المنح الغريب ، فى الفتح القريب . ومنها :

وإذا استحالت حالة وتبدلت — فالله عز وجل لا يتبدل
واليسر بعد العسر موعود به — والصبر بالفرج القريب موكل
والمستعدّ لما يؤمّل ظافر — وكفاك شاهد : قيدوا وتوكلوا !
أمحمد والحمد منك سجية — بجليلها دون الورى تتجمل
أما سعودك ، فهو دون منازع — عقد بأحكام القضاء مسجّل
ولك السجايا الغر والشيم التى — بغريبها يتمثل المتمثل
ولك الوقار إذا تزلزلت الرّبا — وهفت من الروع الهضاب المُيّل
عوّذ كمالك ما استطعت فإنه — قد تنقص الأشياء مما يكمل
تاب الزمان إليك مما قد جنى — والله يأمر بالمتاب ويقبل
إن كان ماض من زمانك قد مضى — باساءة ، قد سرّك المستقبل

وهى طويلة ، وكلها من هذا الطراز .

وعندى أن هذه المعلقة على الطراز الحديث ، التى انعقد إجماع الملك والرعية ، على روعتها وعلى الإعجاب بها ، وتحدث عنها ناظمها مباهيا تياها ، لو قالها أحد مخضرمى طلبة الشيخ الجهنى بالقسم العام ، لصب عليه شؤبوب ثلجى من النقد اللاذع ، والسخرية الأليمة ، ولكانت منبتا خصبا للنكتة والتندر على الأيام . وحسبى أن أضع للقارئ الكريم خطا ، تحت : والأباطل تسفل ؛ وتحت قضية : والله عز وجل لا يتبدل ؛ وتحت : قيدوا وتوكلوا ، التى أشار بها الى الأثر الشريف : اعقلها وتوكل ، فأخطأ لغة النبوة ولغة الشعر معا ؛ وتحت : فهو دون منازع عقد بأحكام القضاء مسجل ؛ وتحت : وهفت من الروع الهضاب الميل ؛ وتحت : قد سرك المستقبل ، إذ قد جرد فيه الجواب المقرون بقد من الفاء ، وهو خطأ . الخ .

ولا أدرى ، كم يلزمنى أن أقيم فى الخانقاه ، حتى أقنع نفسى ، بأن قائل مثل هذه القصيدة ، جدير بلقب : إمام النظم والنثر فى الملة الإسلامية غير مدافع ؛ وممّن ؟! إنه من العلامة ابن خلدون !!.

فأما موشحات ابن الخطيب ، فهى ـ بلا ريب ـ أرفع طبقة من شعره ؛ ولا غرو ، فان دولة الموشحات ، قامت على أنقاض دولة الشعر ، ولم تزدهر ويطرد رقيها إلا فى النصف الثانى من القرن الخامس ، بعد أن مضى لخول شعراء الأندلس ، مع أن ابتكار الموشحات ـ كما قالوا ـ يرجع فضله الى مُقدَّم بن مَعافر الفريرى من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المروانى ، (٢٧٥ — ٣٠٠ هـ) . ولو استطعنا أن نصدق ابن خلدون فى أن ابن عبد ربه قد أخذ عن مقدم فن الموشح ، ولكن لم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر ، وكسدت موشحاتهما ، فاننا لا نستطيع أن نعلل عدم معالجة أمثال ابن هانئ ، والرمادى ، وابن زيدون ، وابن خفاجة ، وأضرابهم من كبار الشعراء ، نظم الموشحات ، إلا بأن ضعف الشعر ، ووقوفه ، كان عاملا من عوامل نهوض الموشحات ، الى حاجة الغناء الملحة ، الى تيسير انطلاق ألحانه ، فى آفاق أرحب من آفاق البحور الخليلية ؛ ويؤيده حال العصر الحاضر ؛ فقد أصبح عصر الموشحات والأزجال ، بعد أن وقف الشعر ، وذهبت ريحه ، وندر الإقبال عليه .

ولابن الخطيب كثير من الموشحات ، أشهرها موشحته التى عارض بها موشحة ابن سهل الاسرائيلى ، وكلتاهما معروفة ؛ ومنها موشحته التى يقول فى مطلعها :

رب ليل ظفرتُ بالبدر ونجوم السماء لم تدر
حفظ الله ليلنا ورعى أى شمل من الهوى جمعا
غفل الدهر والرقيب معا ليت نهر النهار لم يجر
حكم الله لى على الفجر

* * *

ومن أبدع موشحاته :

كم ليوم الفراق من غصّة فى فؤاد العميد
نرفع الأمر فيه والقصة للولى الحميد

* * *

رحل الركب يقطع البيدا بسفين النياق
كل وجناء تتْلع الجيدا وتبذ الرفاق
حسبت ليلة اللقا عيداً فهى ذات اشتياق
صائمات لا تقبل الرخصة قبل فطر وعيد
فهى مذ أمته مختصة بجهاد جهيد

* * *

فأما الأزجال ، فليس لها فى ديوان الشعر حساب .

نعود من هذه الشطحة فنتساءل : لماذا كان حكم ابن خلدون على أدب ابن الخطيب فضفاضا على خلاف ما عرف عنه من دقة النظر ، وتحرى مواقع الصواب ؟

* * *

ابن خلدون أحدث سنا من ابن الخطيب ، وأرفع منه جاها فى الأندلس ، وفى غير الأندلس ، وأوسع منه حيلة وتصرفا فى بلاده ، وفى غير بلاده . وقد تفضل ابن الخطيب فترجم لابن خلدون ، فى كتابه « الإحاطة فى تاريخ غرناطة » ترجمة حافلة بالثناء ، جاء فيها : « عبد الرحمن ابن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمى ، من ذرية عثمان أخى كرَيب ، المذكور فى نبهاء ثوار الأندلس ؛ وينسب سلفهم الى وائل ابن حجر ، وحاله عند القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم معروفة ؛ انتقل سلفه من مدينة إشبيلية عن نباهة وتعيّن وشهرة ، عند الحادثة بها أو قبل ذلك ، فاستقر بتونس منهم ثانى المحمدين : محمد بن الحسن ، وتناسلوا على حشمة وسراوة ورسوم حسنة ، وتصرف جد المترجم به فى القيادة ؛ وأما المترجم به فهو رجل فاضل ، حسن الخلق ، جم الفضائل ، باهر الخصال ، رفيع القدر ، ظاهر الحياء ، أصيل المجد ، وقور المجلس ، خاصىّ الزىّ ، عالى الهمة ، عزوف عن الضيم ، صعب المقادة ، قوىّ الجأش ، طامح لقنن الرياسة ، خاطب للحظ ، متقدم فى فنون عقلية ونقلية ، متعدد المزايا ، سديد البحث ، كثير الحفظ ، صحيح التصور ، بارع الخط ، مغرى بالتجلة ، جواد ، حسن العشرة ، مبذول المشاركة ، مقيم لرسم التمين ، عاكف على رعى خلال الأصالة ، مفخر من مفاخر التخوم المغربية ... الخ . الى أن قال : « وأما نثره وسلطانياته السجعية ، فخُضاج بلاغة ، ورياض فنون ، ومعادن إبداع ، يفرغ عنها يراعه الجرىء ، شبيهة البداءات بالخواتيم ، فى نداوة الحروف ، وقرب العهد بجرية المداد ، ونفوذ أمر القريحة ، واسترسال الطبع . وأما نظمه ، فنهض لهذا العهد قدما فى ميدان الشعر ، ونقده باعتبار أساليبه ، فانثال عليه جوه ، وهان عليه صعبه ، فأتى منه بكل غريبة » . اهـ

ثم أورد ـ بعد هذا ـ كثيرا من قصائده ، منها قصيدته المشهورة ، التى مطلعها :

أسرفن فى هجرى وفى تعذيبى وأطلن موقف عبرتى ونحيبى
وأبين يوم البين موقف ساعة لوداع مشغوف الفؤاد كئيب

وقد خاطب بها ملك المغرب ليلة المولد الشريف عام ٧٦٢ ، ومنها :

ياسيد الرسل الكرام ضراعة تقضى منى نفسى ، وتُذهب حوبى
عاقت ذنوبى عن جنابك ، والمنى فيها تعللنى بكل كذوب

لا كالألى صرفوا العزائم للتقى … فاستأثروا منها بخير نصيب
لم يخلصوا لله حتى فرقوا … فى الله بين مضاجع وقلوب

ومن قصائده ، قصيدة خاطبه بها عند وصول هدية ملك السود[illegible] ، وفيها الزرافة ؛ جاء منها فى وصفها :

ورقيمة الأعطاف حالية … مَوْشِيّة بوشائع البردِ
وحشية الأنساب ما أنست … فى موحش البيداء بالقِرْد
تسمو بجيد بالغ صعدا … شرف الصروح بغير ما جَهْد
طالت رءوس الشامخات به … ولربما قصرت عن الوهد
قطعت إليك تنائفا وصلت … إسآدها بالنص والوخد
تحدى على استصعابها ذللا … وتبيت طوع القِن والقد

وشعر ابن خلدون ، أرفع طبقة من شعر ابن الخطيب ، شاعر الملة الاسلامية غير مدافع !

* * *

وأما بعد ـ فمن جملة ما تقدم ، نعرف أن رأى ابن خلدون فى ابن الخطيب ، من باب عرفان الجميل ، وتقارض الثناء ؛ وذلك أبلغ عيوب تأريخ الأحياء ؟

عبد الجواد رمضان
المدرس بكلية اللغة العربية



# معرفة الاقدار فضيلة

قال جعفر بن سليمان : سمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول : ما رأيت أحدا أقسط من شعبة ، ولا أعبد من سفيان ، ولا أحفظ من ابن المبارك .

وقال : ما رأيت مثل ثلاثة : عطاء بن أبى رباح بمكة ، وطاوس ومحمد بن سيرين بالعراق ، ورجاء بن حيوة بالشام .

وقيل لأهل مكة : كيف كان عطاء بن أبى رباح فيكم ؟

فقالوا : كان مثل العافية التى لا يعرف فضلها حتى تفقد .

ومن العجب أن عطاء بن أبى رباح هذا كان أسود أعور ، أفطس أشل ، أعرج ، ثم عمى ، وأمه سوداء كانت تسمى بركة . فانظر كيف ستر جمال روحه كل هذه العيوب الجثمانية فيه ؟ وأعجب من هذا تقدير الناس للفضائل حتى شبهوه بالعافية .

# باب الأسئلة والفتاوى

## رؤية الطبيب المرأة الاجنبية

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتي :

ما قولكم فى امرأة توفيت واشتبه فى وفاتها أهى عمل جنائى أو عن مرض وبائى عام ، ولا يكشف الأمر فى ذلك إلا رؤية الطبيب لها ، فهل يجوز الكشف عليها من طبيب أجنبي لإقرار العدالة فى مقرها أو لدفع شر الوباء عن المجتمع ؟ والمفروض أن ليس فى النساء من يقوم بهذه المهمة .

نرجو تبيين حكم الشرع الاسلامى فى ذلك .

على احمد عامر

خان الخليلى — القاهرة

الجواب :

من القواعد المقررة فى الشريعة الاسلامية ، وخرج عليها الأئمة فى جميع المذاهب كثيرا من الجزئيات والوقائع ، قاعدة « الضرورات تبيح المحظورات » .

ولا ريب أن معرفة سبب الوفاة عند الاشتباه فيه أمرض وبائى أم حادث جنائى ، شأن من الشئون الضرورية التى تهتم بها الشريعة ، حفظا للدماء من الإهدار ، ووقاية للناس من الأمراض الوبائية .

وبناء عليه : ترى اللجنة أنه يجوز للطبيب أن يرى هذه المتوفاة للوقوف على أسباب وفاتها ، كما يجوز فى حال حياتها أن يرى منها ما تدعو اليه الضرورة للتداوى ونحوه من الواجبات إذا لم يوجد من النساء من يستطعن القيام بهذه المهمة .

ولابد فى الحالتين أن يكون فحص الطبيب مقدرا بقدر الضرورة التى تحقق الغرض المقصود . والله أعلم .

## فى الرضاع

وجاء الى اللجنة أيضا :

رجل تزوج بابنة عمه ورزق منها بطفلين ، أحدهما توفى وهو الذكر ، والأخرى باقية على قيد الحياة ؛ وبعد مضى أكثر من أربع سنوات على زواجه أخبرته والدته أنها أرضعت أخت زوجته التى تكبر عنها بسنتين على أخيه الذى يكبر عنه بسنتين أيضا .

فهل تحرم عليه هذه الزوجة بسبب هذا الرضاع ؟

حسن على النحاس

الجواب:

إنه لا عبرة بإخبار الأم وحدها بالرضاع فى مثل هـذه الحالة ؛ وإذا فرضنا ثبوت هـذا الرضاع بطريقه الشرعى فانه لا يكون مستوجبا تحريم هذه الزوجة على زوجها .

وبناء عليه : فان الزوجية بينهما لا تزال صحيحة وقائمة لا أثر لهذا الرضاع فيها . والله أعلم .

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد اللطيف الفحام

# الاشتراك فى الكتب

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ يوسف الدجوى

ما قول فضيلتكم فى الكتب التى ندفع اشتراكاتها قبل أن تطبع وننتظرها الى تمام الطبع ، فان بعضهم يقول إنه حرام . فنرجو إبداء رأيكم فى هذا الموضوع على صفحات مجلة الأزهر . أبقاكم الله ذخرا للاسلام والمسلمين بمنه وكرمه ؟ جزيرة النجدى — ابراهيم سيد نصار



الجواب:

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه .

أما بعد : فقد وصلنى خطابك ، وأكتب هذا من غير بحث ولا مراجعة ، ممتلئة نفسى بأن الاشتراك فى الكتب التى تطبع لا شىء فيه ، فأنه داخل فى بيع الموصوف المعروف ولو إجمالا ، ومدة الطبع تكاد تكون معلومة بالعرف والعادة ، ودين الله يسر . وليس هناك مفسدة تترتب على مثل هذا . فروح الشريعة لا تأباه ما دام خاليا من الضرر والأذية فى غالب الأحوال . ويكفى غلبة الظن . وهذا هو الأليق بالشريعة السمحة . وهذا ما حضرنى فى الوقت . والسلام عليكم ورحمة الله ؟

يوسف الدجوى

عضو جماعة كبار العلماء

# جمال الدين بن هشام

## النحوى المصـــــرى

فـذ من الأفذاذ ، وعلم من الأعلام ، تحرك فى عصر الركود ، وأضاء فى عهد الظلمات ، ورفع اسم مصر فوق الأسماء .

ولد هذا الرجل العظيم بمدينة القاهرة سنة ثمان وسبعمائة ، أى فى مفتتح القرن الثامن الهجرى ، ومات بها فى سنة إحـدى وستين وسبعمائة ، ودفن خارج باب النصر ، ولا يزال قبره ظاهراً الى الآن فى نقطة يتعرض فيها للاصطدام بعربات نقل الأحجار النازلة من المقطم أو الصاعدة إليه . ولو أُنصف هـذا الرجل لخلد ذكره بين كبار الرجال ، ولصين قبره من الابتذال ، ولحوفظ عليه من الدثور والزوال .

لو لم يكن لجمال الدين بن هشام غير كتابه المسمى « مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب » لـكفى به أثرا يرفعه الى مقام عظماء الرجال ، فكيف يكون الحال إذا علمنا أن لهـذا الرجل كتبا غيره فى أمهات الـكتب كما سنرى فيما بعد ؟

تمتاز كتب جمال الدين بن هشام بميزتين : أولاهما الابتكار ؛ وثانيتهما التجرد من السخافات التى تخرج عن دائرة علم النحـو ، والتى أقحمها النحاة فيه بلا موجب ولا مبرر . فابن هشام من هاتين الناحيتين يعتبر معلما ، بل قل إن شئت : إنه خليق بأن يطلق عليه اسم ( المعلم الأول )، فقد كان على تأخر زمانه ( أنحى من سيبويه ) بشهادة ابن خلدون نفسه .

ولتوضيح هذا نأتى هنا ببعض عباراته التى أوردها فى خطبة كتابه ( المغنى ) :

قال رحمه الله تعالى : « واعلم أنى تأملت كتب الإعراب فإذا السبب الذى اقتضى طولها ثلاثة أمور : أحدها التـكرار ، فإنها لم توضع لإفادة القوانين الـكلية بل للـكلام على الصور الجزئية ، فتراهم يتكلمون على التركيب المعين بكلام ثم حيث جاءت نظائره أعادوا ذلك الـكلام ». ثم قال : والأمر الثانى « إيراد ما لا يتعلق بالإعراب كالـكلام فى اشـتقاق ( اسم ) ، أهو من السمة كما يقول الـكوفيون ، أم من السمو كما يقول البصريون ، والاحتجاج لـكل من الفريقين ، وترجيح الراجح من القولين ؛ وكالـكلام على ألفه ( يعنى ألف اسم ) لما حذفت من البسملة خطا الخ » . ثم قال : والثالث ( أى الأمر الثالث ) « إعراب الواضحات كالمبتدأ وخبره ، والفاعل ونائبه ، والجار والمجرور ، والعاطف والمعطوف الخ » .

أقول : والناظر فى فهرس مواد كتاب المغنى هذا يرى أن الباب الأول منه ( فى تفسير المفردات وأحكامها ) إنما هو معجم نفيس مرتب على حروف ألف باء لمراجعـة ما يعرض

للمشتغل بالإعراب من الألفاظ والعوامل . وهـذا الباب النفيس يستغرق الجـزء الأول من الـكتاب ، وقسما لا بأس به من الجزء الثـانى .

وما أظن أن جمال الدين بن هشام قد سُبق الى هـذا ؛ ومن ثَم نحكم له بالابتـكار والاجتهاد ، فهو من هذه الناحية أمة وحده ، بل لا نبالغ إذا قلنا : إنه ( إمام مجتهد لا مقلد فى علم النحو ) .

ويحسن بى بعد ذلك أن أجىء على ترجمته فأقول :

هو عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصارى ، الشيخ جمال الدين الحنبلى النحوى ، الفاضل العلامة المشهور أبو محمد . ولد فى ذى القعدة سنة ثمان وسبعمائة ، ولزم الشهاب عبـد اللطيف بن المرحل ، وقرأ على ابن السراج ، وسمع على أبى حيان ديوان زهير ابن أبى سلمى ، ولم يلازمه ولا قرأ عليه غير هذا الديوان ، وحضر دروس التاج التبريزى ، وقرأ على التاج الفاكهانى ، وتفقه للشافعى ، ثم تحنبل فحفظ مختصر الخرقى من كتب الحنابلة فى دون أربعة أشهر ، وذلك قبل موته بخمس سنين . وأتقن رحمه الله العربية ففاق الأقران بل الشيوخ ، وحدث عن ابن جماعة ، وتخرج به جماعة من أهل مصر وغيرهم ، وتصدر لنفع الطالبين ، وانفرد بالفوائد الغريبة ، والمباحث الدقيقة ، والاستدراكات العجيبة ، والتحقيق البارع ، والاطلاع المفرط الواسع ، والاقتدار على التصرف فى الـكلام ، والملـكة التى كان يتمكن من التعبير بها عن مقصوده بما يريد ، مسهبا وموجزاً ، مع التواضع ، والبر والشفقة ، ودماثة الخلق ، ورقة القلب ، ولين الجانب .

قال ابن خلدون : « مازلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه » .

وكان ابن هشام كثير المخالفة لأبى حيان ( مع أن أبا حيان رحمه الله من أكبر علماء العربية فى ذلـكم العصر ) ، بل لقد قرأ عليه صاحبنا ديوان زهير بن أبى سلمى كما أسلفنا فى صـدر هذه الـكلمة .

أما مصنفات ابن هشـام فهى : ( مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ) ، ( التـوضيح على الألفيـة ) فى مجلد ، ( دفع الخصاصة ) فى أربعة مجلدات ، ( عمدة الطالب فى تحقيق تعريف ابن الحاجب ) فى مجلدين ، ( التحصيل والتفصيل ) فى عدة مجلدات ، ( شرح التسهيل ) ، ( شرح الشواهد الـكبرى ) ، ( القواعد الـكبرى ) ، ( القـواعد الصغرى ) ، ( شـذور الذهب وشرحه ) ، ( قطر الندى وشرحه ) ، ( الجامع الـكبير ) ، ( الجامع الصغير ) ، ( شرح اللمحة لأبى حيان ) ، ( شرح بانت سعاد ) ، ( شرح البردة ) ، ( كتاب التذكرة ) فى خمسة عشر مجلدا ، ( المسائل السفرية فى النحو ) ، وفوق ذلك عدة حواش على الألفية والتسهيل .

ولابن هشام شعر جزل ، فمن ذلك قوله :

ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل
ومن لا يذل النفس فى طلب العلا يسيرا يعش دهرا طويلا أخا ذُل

توفى ابن هشام فى ليلة الجمعة خامس ذى القعدة سنة إحدى وستين وسبعمائة . ولقد رثاه ابن نباتة الشاعر المشهور بقوله :

سقى ابنَ هشام فى الثرى نوء رحمةٍ يجر على مثـواه ذيلَ غمام
سأروى له فى سيرة المدح مُسْنَداً فما زلت أروى سيرة ابن هشام

أقول : وقد دفن هـذا المفرد العلم فى قـبر متواضع خارج باب النصر ، الى يسار الخارج من هـذا الباب ، عند ملتقى شارع باب النصر المؤدى الى قرافة باب النصر الى يمين الداخل من ذلك الشارع ، وهو فى نقطة مرور عربات نقل الأحجار ، وكثيرا ما تصطدم به فى ذهابها وإيابها .

ويجب حتما على أهل الأزهر الذين يعدون العدة للاحتفال بعيد جامعتهم الآنى ، أن يزوروا قبر هذا الرجل العظيم ، وأن ينقلوا رفاته الى مكان آخر أكثر لياقة به وبمكانته ، أو يحيطوه على الأقل بسياج يمنع اصطدام العربات به ، ويجمله فى مظهر يليق بمقام ساكنه . على ساكنه رحمة الله ورضوانه ؟

مصطفى عبد الحميد أبو زيد

# تحديد البلاغة

قيل لبليغ : ما البلاغة ؟

قال : إيجاز الـكلام ، وحذف الفضول ، وتقريب البعيد .

وقيل لخطيب : ما البلاغة ؟ قال : أن لا يؤتى القائـل من سوء فهم السامع ، ولا يؤتى السامع من سوء بيان القائل .

معنى هذا أن البلاغة تقتضى أن يكون الـكلام مرتبا مترابطا بحيث لا ينبهم على السامع ، وأن يكون بينا واضحا بحيث لا يعجز عن تبينه فهم السامع ؟ والتبعة فى كلتا الحالتين واقعة على القائل .

وقال معاوية لصحار العبدى : ما البلاغة ؟

قال صحار : أن تجيب فلا تبطئ ، وتصيب فلا تخطىء . ثم قال : أقلنى يا أمير المؤمنين .

قال معاوية : قد أقلتك .

فقال صحار : البلاغة أن لا تخطىء ولا تبطىء .

كأنه شعر أنه زاد فى الألفاظ ما لا حاجة اليه وهو ضد البلاغة ، لحذف الزيادة .

# دراسات في القرآن الكريم

## تاريخ علم التفسير

وإذا قد فرغنا من إثبات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر القرآن ، ننتقل الى بيان طبقات المفسرين . ويمكن حصرها فى أربع طبقات :

الأولى : طبقة الصحابة والتابعين وأتباع التابعين .

الثانية : طبقة المحدثين ، وهم الذين صنفوا التفاسير بطريق التحديث والإسناد ، وأوردوا أقوال الصحابة .

الثالثة : المفسرون من أهل السنة الذين ضموا التأويل الى التفسير ، فتكلموا على معانى القرآن وأحكامه وإعرابه وبلاغته وإعجازه وما فيه من تشبيهات واستعارات ، وربط آيه بعضها ببعض وغير ذلك .

الرابعة : طبقة المفسرين من غير أهل السنة كالمعتزلة والشيعة وغيرها .

أصحاب الطبقة الأولى هم الذين يسمون بحق مفسرين ، وكذلك أصحاب الطبقة الثانية ، وإن كان أكثر العلماء يسمونهم « نقلة » . أما أصحاب الطبقة الثالثة « فمؤولون » ، ولهذا يسمون كتبهم غالبا بالتأويل . وأما أصحاب الطبقة الرابعة ، فمنهم مفسرون وهم الذين شايعوا عليا كرم الله وجهه فى عصره ، فلم يدخلوا فى تفسيرهم أحكاما استنبطوها ، ولا مسائل ابتكروها ، مما يكسب تفسيرهم صفة التأويل ؛ ومنهم « نقلة » وهم المتأخرون عن هؤلاء الذين رووا تفسيرهم بطريق الإسناد والتحديث ( وإن كانت أسانيدهم مقصورة على أهل البيت ) ؛ ومنهم مؤولون وهم الجمهرة المتأخرة عن عصر التابعين وأتباع التابعين ، وهؤلاء لهم فى تأويلهم واستنباطهم الأحكام ، وبيانهم معانى القرآن ، أسلوب خاص وطابع خاص ، سنعرض له فيما بعد . وهذا التقسيم خاص بالشيعة . أما المعتزلة فكلهم مؤولون ، ولهم كذلك فى تأويلهم أسلوب خاص يتفق وما قرروه من مبادئ ، مخالفين فى ذلك مبادئ أهل السنة .

نعود الآن الى الكلام على الطبقة الأولى مبينين طريقتهم فى تفسير كتاب الله تعالى ، وأرى هنا أن أنبه القارىء الى ما سبقت الإشارة إليه فى مقالاتنا فى العام الفائت ، من أن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتحرج من تفسير كلام الله تعالى خوفا من الخطأ فيه . وها هو شيخهم الجليل أبو بكر الصديق ، وقد سئل عن تفسير حرف من القرآن ، يقول :

« أى سماء تظلنى ، وأى أرض تقلنى ، وأين أذهب ، وكيف أصنع إذا قلت فى حرف من كتاب الله بغير ما أراد تبارك وتعالى » ؟ !

قال ابن عطية : وكان جملة من السلف كسعيد بن المسيب ، وعامر الشعبى وغيرهما يعظمون تفسير القرآن ، ويتوقفون عنه تورعا واحتياطا لأنفسهم مع إدراكهم وتقدمهم . قال أبو بكر الأنبارى فى تعليل ذلك : « وقـد كان الأئمة من السلف يتورعون عن تفسير ( المشـكل ) من القرآن ، فبعض يقدر أن الذى يفسر لا يوافق مراد الله تعالى فيحجم ، وبعض يشفق من أن يُجعـل فى التفسير إماما يبنى على مذهبه ، ويقتفى طريقه ، ولعل متأخرا أن يفسر حرفا برأيه ويخطىء فيه ويقول : إمامى فى تفسير القرآن بالرأى فلان الامام من السلف » اه .

ومن هنا يتضح السبب فى توقف بعض الصحابة عن التفسير مع أنهم الأئمـة المبرزون ، وهم الذين عاصروا الرسول صلوات الله عليه ، وتشرفوا بصحبته ، وتلقوا العلم عنه فى مجالسه .

ونحن نحمد الله سبحانه وتعالى على أن هذه الفـكرة ـ على سموها ـ لم تتغلغل فى نفوس جميع الصحابة فلم يمسكوا عن تفسير القـرآن فيقع من بعدهم فى غاية الحرج والمشقة ، بل كان من لطف الله سبحانه وتعالى أن هيأ جمهرة من الصحابة لتفسير القرآن ، فتمشوا مع قول النبى صلى الله عليه وسلم : « يحمل هـذا العلم من كل خلف عُدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » . قال الخطيب أبو بكر أحمد بن على البغدادى : وهذه شهادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم أعلام الدين ، وأئمة المسلمين ، لحفظهم الشريعة من التحريف والانتحال للباطل ، ورد تأويل الأبله الجاهل ، وأنه يجب الرجوع إليهم ، والتعـويل فى أمر الدين عليهم » اه . فـكان ذلك من رحمة الله تعالى بالأمة الإسـلامية على اختلاف طبقاتها فى جميع العصور .

ومن المبرزين فى التفسير من الصحابة : عبد الله بن عباس ، وعلى بن أبى طالب ، وعبد الله ابن مسعود ، وأُبَىّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعرى ، وعبد الله بن الزبير ، وأنس بن مالك ، وبو أهريرة ، وجابر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وغيرهم ، رضى الله عنهم أجمعين .

ومن المبرزين فى التفسير من التابعين :

أولا ـــ أصحاب عبد الله بن عباس ، وهم علمـاء مكة . ومن مشاهيرهم : مجاهد بن جبر المـكى ، المتوفى سنة ١٠٣ هـ ، واعتمد على تفسيره الامام الشافعى والبخارى ؛ ومنهم سعيد ابن جبير ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وطاوس بن كيسان ، وعطاء بن أبى رَباح ، وغيرهم .

ثانيا ـــ أصحاب عبد الله بن مسعود ، وهم علمـاء الـكوفة . ومن مشاهيرهم : علقمة بن قيس ، والأسود بن زيد ، وابراهيم النخعى ، والشعبى وغيرهم .

ثالثا — أصحاب زيد بن أسلم ، ومن مشاهيرهم : عبد الرحمن بن زيد ، ومالك بن أنس ، والحسن البصرى ، وعطاء بن أبى سلمة ، وأبو العالية رفيع بن مهران الرياحى ، والضحاك بن مزاحم ، وعطية بن سعيد ، وقتادة بن دعامة السدوسى ، والربيع بن أنس ، وغيرهم .

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسرون القرآن على نمط تفسير الرسول ، فكانوا يبينون الأحكام ، ويروون السنة المخصِّصة للعام ، والمقيِّدة للمطلق ؛ وكانوا أعلم الناس بالناسخ والمنسوخ ، والمحكم والمتشابه ، وغير ذلك من علوم القرآن . ولا عجب ، فهم أصحاب الرسول ، وأصحاب مجالسه ، وهم الذين تلقوا عنه صلى الله عليه وسلم بالمشافهة ، وهم أصحاب الحوادث والوقائع التى كانت أسبابا فى نزول القرآن مقررا أحكامها ؛ فهم أعلم الناس بعد رسول الله بكتاب الله وبسنة رسوله . وكثيرا أقرهم الرسول صلوات الله عليه وسلامه على أحكام استنبطوها بحضرته ، على رأى من يقول من الأصوليين بجواز اجتهاد الصحابة بحضرته صلى الله عليه وسلم ، وهم كثيرون من الأصوليين ؛ واستدل لهم ابن الحاجب فى مختصره ، وأورد أقوال المخالفين ورد عليها . ولهم فى هذا جدل وحجاج ليس هذا موضعه . وكل ما أريد أن أقوله هو أن الصحابة رضوان الله عليهم تخرجوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتأدبوا بآدابه ، واهتدوا بهديه ، واستنوا بسنته ، وتعلموا طريقة تخريجه وإفتائه ، وحفظوا سنته .

فلا عجب أن كان تفسيرهم للقرآن على نمط تفسيره ، كما ستعلم من النماذج التى سنوردها لك فيما بعد .

نعم إن سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما كان يستند فى تفسير غريب القرآن على شعر العرب ، فكان يُسأل عن الكلمة من القرآن فيقول : هكذا وهكذا ، أما سمعت الشاعر يقول كذا وكذا ؟ ومن ذلك أنه سئل عن قوله تعالى : « ذواتا أفنان » قال : ذواتا ظل وأغصان ، أما سمعت قول الشاعر :

ما هاج شوقك من هديل حمامة تدعو على فنن الغصون حماما
تدعو أبا فرخين صادف طائرا ذا مخلبين من الصقور قطاما

والمراد بغريب القرآن ما يوجد فيه من الألفاظ البعيدة المعنى عن أفهام العامة كلفظ أفنان مثلا ، فقد لا يوجد فى العامة ولو كانوا عربا خلصا أن يعرفوا أن معناه أغصان وأنه جمع فَنَن .

وتفسير غريب القرآن بالشعر ليس بدعا ، إذ غريب القرآن هو غريب اللغة ، والشعر ديوان العرب . وقد طال بنا القول ، فلنرجئ إيراد النماذج الى مقال آت ، والله الموفق .

محمود حسين

# مستقبل الدين

## دحض شبهات ودفع ظنون وأوهام

إنها والله لبدعة العصر ، ومرض الباحثين فى هذه الأيام ، أن يصنع فى العلم صنيع المنجم ، يتنبأ بمستقبل العلم والاجتماع البشرى ، ويستطلع الغيب فى النظم القائمة والأحوال الجارية !

ليس هذا مما يصح ، لأن العالم الأدبى — كما يقول الدكتور جوستاف لوبون — كالعالم الحسى ، مسيّر بنواميس ثابتة لا تقهر ؛ وأما ما نسميه مصادفة واتفاقا ، فليس سوى سلسلة طويلة من العلل غير المتناهية التى لا نعرفها ؛ وإن اشتباك هذه العلل يجعل كل تكهن صريح فيها مستحيلا ، إذ الانسان لا يصح أن يتوصل الى تفهم الحوادث الاجتماعية قليلا ، ولا الى كشفها قبل وقوعها ، إلا إذا بحث عن كل عامل فى تكوينها على حدته ، ثم عن التأثير المتبادل لهذه العوامل ؛ وعند ما يكثر عدد العناصر المؤثر بعضها فى بعض ، فان العالم الحاضر يصرح بعجزه عن اكتشاف نتيجتها القاطعة .

ويقول الدكتور لوبون : إن الانسان مسير بالبيئة والأحوال التى تحيط به ، ولا سيما عزائم الأموات ، أى بالقوى الارثية الخفية الحية فيه ، فهذه القوى متسلطة على أكثر أفعالنا ، وعلى نسبة خفائها تكون قوتها ، وأما أفكارنا الشخصية فلا تؤثر إلا فى الأجيال التى لم تخلق بعد . ولما كانت أفعالنا صادرة عن ماض بعيد ، فان جميع نتائجها لا تقع إلا فى مستقبل لا نراه . ثم إن الساعة الحاضرة هى التى لها قيمة عندنا ، مع أن هذه الساعة لا قيمة لها فى حياة الانسان الطويلة . وإنه ليستحيل علينا أيضا أن نقدر الحوادث التى تقع أمامنا حق قدرها ، لأن تأثيرها فى مصيرنا يدفعنا الى المبالغة فى بيان أهميتها . وما أشبه هذه الحوادث بالأمواج الصغيرة التى تحيا وتموت على سطح النهر من غير أن تؤثر فى مجراه !

نعم إن الانسان يسعى دائما فى كشف الغطاء الذى يحجب عنه المستقبل الكثيف ؛ وإن ذلك لغريزة متمكنة من طبعه ؛ والفلاسفة أنفسهم لم يكبحوا جماحهم عن هذا التطلع ؛ ولكنهم — على الأقل — يعرفون أن نبوءاتهم ليست سوى فروض مشتقة عن حوادث الماضى المتشابهة ، أو مستخرجة من أخلاق الأمم ؛ كما أنهم يعرفون أن أصدق النبوءات فى ظاهرها هى الخاصة بمستقبل قريب ؛ وإن من الممكن أن يكذبها كثير من الحوادث المجهولة ؛ ومن ثم فان النفس العلمية لا تقدر على الاتيان بنبوءة اجتماعية صادقة خاصة بالمستقبل البعيد ؛ وكيف نقدر على الإنباء بالمستقبل ونحن نجهل كل شىء فى العالم الذى نعيش فيه ، ونصطدم بجدار يتعذر خرقه عند ما نريد كشف علة الحوادث والبحث عن الحقائق المحجوبة خلف الظواهر ؟

إننا نسبح عميا فى بحر محيط من الأمور المجهولة ؛ وإنما نرى أحيانا فى هذا الفضاء الغامض بضع أشعة شاردة ، أى بضع حقائق نسميها نواميس ، وهى وإن كانت أدلة ضعيفة فنظارنا لا ينفذ إلا اليها ، ولا شىء غيرها يستمد منه العلم (١) .

لقد تقدم الانسان فى العلم درجات ودرجات ، ولكنه لا يزال عاجزاً عن إدراك حقيقة نفسه وما يتصل به وجوده ، وليست حياة الأمم على ما يحسب بعض الناس ، تصنع فى مكاتب السياسيين وكتب المفكرين ، ولكنها تخضع لنواميس وقوانين فوق متناول الذهن البشرى وأكبر من طاقته ؛ وإن الرجل المفكر مهما أوتى من الإحاطة وسعة العرفان وقوة الذكاء فلن يقع من فهم العالم وإدراك الحياة إلا موقع الذبابة من تمثال « بافاريا » فى تمثيل الفيلسوف الألمانى ماكس نوردو ؛ وماذا يا ترى يكون موقف تلك الذبابة إزاء ذلك البناء الضخم ، وماذا تكون حيرتها وتعجبها ، وماذا يكون إنكارها واستهجانها ؟ لا شك سترى الذبابة فى ذلك التمثال كتلة لا شكل لها ولا مبدأ ولا نهاية ، ولا أدنى آية على عقل أو حكمة أو نظام أو غرض ؛ فاذا قيض لهذه الذبابة أن تقضى أيامها فى جوف هذا التمثال وكانت ممن يستطيعون التعبير عن آرائهم ، لأوسعته طعنا وإزراء ، ولوجدت من مثيلاتها من يؤمن بما تقول ويعجب به .

وثمة حقيقة لا يصح أن تخفى على ذى الخاطر اليقظ ، وهى أن الباحث مهما تحرز وتحرج ، فانه لا يستطيع أن يخلص من شعوره وهواه نحو المستقبل ؛ وإنه لن يكون فى النظر الى الغد إلا على ما يشيع فى جوانب نفسه من خير أو شر ، وما يسيطر على ميوله من تفاؤل أو تشاؤم ، وما يحيط به من تعقيد أو بساطة ؛ فالمفكر المتوتر الأعصاب ، الذى ينظر الى الدنيا دائماً بمنظار أسود قاتم ، ينبئك بأن نور الشمس سينطفئ ، وأن آية الليل ستمحو آية النهار ، فالدنيا صائرة الى الشقاء لا محالة ، والعمران سينقلب على عقبه ، والانسانية ستعود الى الهمجية كيوم ابتدأت تاريخها على وجه الأرض ؛ وأما المفكر المبتهج النفس ، الذى يفيض قلبه بالبهجة والغبطة ، وتمتلئ جوانحه بالسرور والبشاشة ، فانه ينظر الى المستقبل نظرة الشاعر الى الماء والروض والوجه الحسن ، فالدنيا فى رأيه بخير وسعادة ، والعالم صائر الى جنة عرضها السموات والأرض ، وستمطر السماء ذهباً وفضة ، وستفيض الأنهار بالخبز كما تفيض بالماء ، وسيتم الإخاء بين الكائنات الحية حتى ليصطحب الذئب والكلب ويتصافى القط والفأر ، وويل لطالب الحقيقة من كل هذا البهتان !

ونحن إذ نحمل القلم لنكتب فى مستقبل الدين فلسنا نصنع صنيع القوم ، وإنما نحن نكتب فى الموضوع مجاوبة لبعض الباحثين ، فهم يزعمون أن الوقت الذى كان الدين فيه يسيطر على المشاعر ويستولى على القلوب قد فات وانقضى ، وأن الزمن الذى كان الناس فيه يتطلعون

(١) راجع ما كتبه الدكتور لوبون عن مستقبل الاشتراكية فى الفصل الذى كتبه عن مستقبل الاشتراكية .

نحو السماء قد ذهب وانمحى ، وأن هدى الأنبياء والحكماء قد ضاع أثره من قرارة النفوس ، ونفد سحره من شغاف القلوب ؛ وإذا كان الدين فى القديم قد استطاع أن يهز مشاعر الناس وأن يستبد بأهوائهم وميولهم ، حتى فنوا فيه ، وعاشوا من أجله ، وكان مظهر سلوكهم وفنهم ومدنيتهم ، فلا شك أن العلم قد حل عندهم مكان الدين فى هذا كله ؛ ذلك لأن الانسانية تجرى فى ارتقائها على أطوار ثلاثة كما يقول أصحاب الفلسفة الوضعية : طور الطفولة وهو الاعتقاد بأن العالم محكوم بالأرواح والآلهة ، وطور الشباب وهو البحث فيما وراء الطبيعة ، ثم طور الرجولة وهو طلب الهيئة الاجتماعية والخضوع للعقل ونفع الناس بدافع الواجب . ولا شك عندهم أن الانسانية قد بلغت الطور الثالث فى نضجها وتفكيرها ، فهى الآن تسير بهدى العقل وتفكيره ، وتنزل على حكمه وتقديره .

تلك هى تكهنات القوم فى مستقبل الدين ؛ وإنها لنجد عند بعض الناس مسمعا ، وتحتل من إدراكهم موضعا ، وهـذا ما حملنا على مناقشة تلك الأقوال وردها على أهلها فى حـدود المنطق والعقل ، وعلى مقتضى الإدراك والفهم . ولما كان الدين من جهة اتصاله بالمشاعر حقيقة وجدانية ، ومن جهة أثره فى سلوك الشخص قاعدة أخلاقية ، ومن جهة سيطرته على الجماعات روحا اجتماعية عمرانية ، فسنمد القول فى كل هـذه المناحى ما أمكن ، وسنجرى مع القوم الى آخر الشوط ما وسع الجهد ، إن شاء الله ؟ « يتبع »

**محمد فهمى عبد اللطيف**



## التذكير بذمام متقدم

لما آلت الخلافة للمأمون قال له ثمامة ابن أشرس ، وكان من جلسائه أثناء ولاية عهده : يا أمير المؤمنين كان لى أملان : أمل لك ، وأمل بك ؛ فأما أملى لك فقد بلغته ، وأما أملى بك فلا أدرى ما يكون منك فيه .

قال المأمون : يكون أفضل ما رجوت وأملت . وجعله من سماره وخاصته .

ولما صارت الخلافة الى هشام بن عبد الملك ، خر أصحابه الجالسون معه سجودا إلا الأبرش الكلبى .

فقال له هشام : يا أبرش ما منعك أن تسجد كما سجدوا ؟

قال : يا أمير المؤمنين لأنك ذهبت عنا وتركتنا .

قال هشام : فان ذهبت بك معى ؟

قال الأبرش : أو تفعل يا أمير المؤمنين ؟

قال هشام : نعم . قال الأبرش : فالآن طاب السجود ، ثم سجد .

# تطور التصميم والزخرفة فى مساجد مصر

## التصميم والزخرفة قبل قيام الدولة الطولونية

لا يمكن لكتب التاريخ وحدها أن تجلو على الباحث صورة واضحة من الحضارة الاسلامية فى عصورها المختلفة ، بل ثمة مراجع أخرى أصدق فى التعبير عن جلال هذه الحضارة وعظمتها . فالتأمل فيما تركه المسلمون من المساجد والقصور ، والنظر فيما خلفوه من التحف المختلفة ، يكشف للباحثين عن صور مادية لهذه الحضارة تنم عن سمو ذوق هؤلاء الأجداد . نعم هذا التراث الفنى لا يغنى وحده عن النظر فى كتب التاريخ ، ولكنه فى الواقع يكملها ، ويبعث فى حقائقها روحا تردها الى الحياة .

ولمصر ميزة يحق لها أن تفخر بها على غيرها من الأقطار الاسلامية ، إذ هى تضم تحت سمائها سلسلة من المساجد فى العصور الاسلامية المختلفة . وسنبدأ بدراسة أول مسجد أسس فى مصر . ولئن كانت يد التغيير قد لعبت فعلا بهذا المسجد حتى لم تبق من آثار مؤسسه الأول عمرو بن العاص إلا البقعة التى شيده عليها ، فان المؤرخين قد احتفظوا لنا بوصفه فى مراحل نموه ، إذ أمدونا بصور متعاقبة من التغييرات التى حدثت به ، وما كان هـذا المسجد ، عند ما اختطه عمرو فى سنة إحدى وعشرين من الهجرة ، بأكثر من بناء غاية فى السذاجة ، لا يزيد كثيرا عن المساجد المبنية فى قرانا اليوم إن لم يقل عنها : مساحته كانت تقرب من خمسمائة متر ، وله أبواب ستة ، وسقف وطىء جدا محمول على جذوع من النخل ، ومحراب مسطح .

وقد ظل هذا المسجد الصغير ينمو ويكبر طوال أيام الدولة الاموية ، وكلما ازداد عدد المسلمين فى مصر وارتقت حياتهم ، وارتفعت عن سذاجة البداوة ، انعكس ذلك على مسجدهم هـذا ، فاتسعت رقعته ، وزادت أبوابه ، فأصبحت أحد عشر ، وفرشت أرضه بالحصر بدل الحصباء ، وارتفع سقفه ، واستبدلت بجذوع النخل عمـد من الرخام ، وبدت فى تصميمه مظاهر معمارية جديدة لم تكن فيه من قبل كالمحراب المجوف والمآذن .

أما المآذن فلم تكن معروفة على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، بل كان بلال يؤذن من أعلى سطح يجاور مسجد المدينة .

ولقـد بنى مسلمة بن مخلد والى مصر من قبل معاوية بن أبى سفيان لمسجد عمرو أربعة أبراج فوق أركانه الأربعة ، وجعل الوصول اليها من مراق خارج الجامع ، ونقش عليها اسمه .

أما المحراب المجوف فقـد أحدثه عمر بن عبد العزيز ـ على قول المقريزى ـ عنـد ما أعاد

بناء مسجد المدينة . وظهر فى مصر لأول مرة على يدى قرة بن شريك والى مصر من قبل الوليد بن عبد الملك فى سنة اثنين وتسعين هجرية .

أما العمد الرخامية فلم يؤثر عن المسلمين أنهم عنوا بقطعها و إعدادها ، بل كانوا يستخدمون ما تصل اليه أيديهم من عمد المعابد المهدمة . ولقد كان شأنهم فى ذلك شأن الرومان من قبلهم ، إذ كانوا يفضلون نقل العمد اليونانية من المعابد القديمة الى معابدهم على أن يكلفوا أنفسهم مشقة عمل عمد جديدة . ولقد نسج مسلمو مصر فى ذلك على نفس المنوال الذى نسج عليه مسلمو الكوفة من قبلهم ، الذين أقاموا ظلة مسجدهم على أساطين كانت للأكاسرة كما يقول الطبرى .

***

تسلمت الدولة العباسية هذا الجامع الذى أصبح له فى النفوس مكانة سامية ، ولم تشأ أن تقف عند حد المحافظة عليه ، بل وجهت إليه عنايتها ، فزادت فى رقعته حتى وصلت مساحته الى القدر الذى هو عليه الآن أى ثلاثة عشر ألفا ومائتى متر تقريبا على يدى عبد الله بن طاهر والى مصر من قبل المأمون الخليفة العباسى .

ترى كيف كان تصميم هذا الجامع قبل الأعمال العظيمة التى قام بها فيه ابن طاهر ؟ هل احتفظ بالتصميم القديم الذى كان عليه يوم أنشىء : أى ظل مسقوفا بأكمله كما كان ؟ أم صار يتكون من صحن مكشوف يحيط به من جهاته الأربع أروقة مسقوفة ؟ أم كان له تخطيط آخر ؟

هذه الأسئلة لم نظفر لها بجواب حتى الآن . سكت عنها المؤرخون جميعا ، ولم يكشف البحث الأثرى الذى قامت به لجنة حفظ الآثار العربية عما يميط اللثام عن هذه الغموض .

ولكن الواقع الذى لا مجال للشك فيه ، والذى ثبت فعلا من الأبحاث الأثرية التى قام بها الأستاذ محمود أحمد باشا مدير إدارة حفظ الآثار ، ومن التحليل الذى قام به الأستاذ كرزول أستاذ العمارة الاسلامية بالجامعة ، أن المسجد بعد زيادة ابن طاهر ، أصبح مكونا من صحن مكشوف يحيط به أربعة أروقة يشتمل كل من الرواقين القبلى والبحرى على سبعة صفوف من العقود تجرى فى موازاة حائط القبلة ، ويتكون كل صف من صفوف الرواق القبلى من تسعة عشر عقدا تتكىء على عشرين عمودا ، كما يتكون كل صف من صفوف الرواق البحرى من عشرين عقدا ترتكز على واحد وعشرين عمودا ، ومن المحتمل أنه كان فيما بين العقود طاقات صغيرة الغرض منها تخفيف البناء .

والرواق الشرقى به سبع طارات ، فى كل منها أربعة عقود ترتكز على خمسة أعمدة ، وتسير فى اتجاه الصفوف السابقة .

أما الرواق الغربى فيختلف عن ذلك قليلا ، إذ به أربعة صفوف من العقود بكل صف ثمانية تتجه من الجنوب الى الشمال ( على عكس العقود الأخرى فهى تتجه من الشرق الى الغرب ) .

ولقد كان فى المسجد محاريب ثلاثة : محراب وسط الحائط الجنوبى ، وواحد على سمت محراب عمرو ( فى النصف الشرقى من المسجد الحالى ) ، وثالث فى النصف الغربى من المسجد .

ويرجح أن ارتفاع الحوائط كان يزيد على تسعة أمتار بقليل ، وأن جدار القبلة كان به سبع عشرة نافذة يقابلها مثلها فى الجدار البحرى . أما فى كل من الجدارين الشرقى والغربى فيوجد اثنان وعشرون نافذة متقابلة . وهذه النوافذ جميعا يعلوها عقد مدبب قليلا تتكئ على أعمدة مندمجة من الرخام ، وبين كل نافذتين من الخارج دخلة سقفها معقود مضلع وترتكز على أعمدة صغيرة من الطوب ، وقد زاد عدد الأبواب فأصبح ثلاثة عشر بابا ( خمسة فى الجدار الشرقى ، وأربعة فى الجدار الغربى ، وثلاثة فى الجدار البحرى ، وواحد فى جدار القبلة ) .

***

هذا هو تصميم مسجد عمرو قبل قيام الدولة الطولونية . وهو وإن كان لا يطابق تماما شكل المسجد القائم الآن ، إلا أنه من اليسير جدا على الزائر أن يتبين فى سهولة التصميم الأصلى للمسجد ، بصرف النظر عما هنالك من تغيير . فأسس الأعمـدة الباقية فى الرواقين الشرقى والغربى ، وبقايا العقود الناتئة فى هذين الجدارين ، والنوافذ التى سدت ولكن معالمها لا تزال واضحة ، والنوافذ التى تقطعها العقود الحالية ، هذه الشواهد جميعا تنطق بأجلى بيان بما جرى لهذا الجامع من التغيير . وليس هنا مجال الإفاضة فى ذلك ، فحسبنا أن نعلم أن صفوف العقود فى رواق القبلة ( وهو الجزء المحتفظ بكيانه دون باقى أجزاء المسجد ) قد تغير وضعها وأصبحت الآن عمودية على جدار المحراب بعد أن كانت موازية له ، وأن نقف عند حد التصميم الذى تركه عليه ابن طاهر لأنه أساس لتصميم المساجد التى أتت بعد ذلك .

ولكن هل ظل الجامع عاطلا من الزخرفة برغم اتساعه وظهور تلك العناصر المعمارية فيه ؟ لا شك أن سنة التطور قد اقتضت أن يتدرج فى سلم الرقى من ناحية الزخرفة كما تدرج من ناحية التصميم . فالإنسان بطبعه يحب الجمال ويقدره ويميل الى الشىء الجميل ويؤثره على غيره ؛ ولقد أشار المؤرخون الى أن الجامع قد بيض وزخرف وذهبت تيجان بعض أعمدته ، وهذه الأقوال لا تترك مجالا للشك فى أن المسجد قد خرج عن بساطته الأولى ، فتعاون الفنان مع البناء على إلباسه حلة قشيبة من الجمال الفنى ، وأضفيا عليه رواء لم يكن له من قبل .

ويرى الأب لامنس ، ويشاطره الأستاذ كريزول رأيه ، أن فكرة تزيين الجوامع عامة إنما ترجع الى زياد بن أبيه ، أحد رجال معاوية بن أبى سفيان الذين استعان بهم على تثبيت ملكه ، ذلك أن زيادا عندما أدرك القيمة السياسية للجوامع ، ورأى أنها كانت فى الواقع دار الندوة التى فيها يبسط الحاكم سياسته ، ويدعو الناس اليها ، ووجد أن للمساجد المحلية خطراً على هذه السياسة لأنها كانت مراكز تنقد فيها تصرفات الحكومة ، وتدس فيها الدسائس ، وتدبر بين جدرانها المؤامرات ، وليس من اليسير على الحكومة القائمة أن تراقبها مراقبة دقيقة

لجأ الى وسيلة يجذب بها معظم المسلمين من مساجد أحيائهم الى جامع العاصمة ، فزينه وحلاه وأسبغ عليه من الزخرفة رداء جمله يكسف بروعته وأبهته مساجد الأحياء ، ويدعو الى ساحته أفواج المسلمين ، وبذلك تتاح له الفرصة لكي ينشر آراءه ، ويؤيد وجهة نظره فى الحكم ، ويقيم حجته أمام أكبر عدد ممكن من رعيته .

ولئن صح ذلك فانه فى الواقع لا يكفى وحده لتعليل هذا الأمر ، ولا ينهض بمفرده دليلا عليه ، ولكنه قد يكون عاملا مساعدا فحسب ، ذلك لأن مسألة زخرفة الجوامع ليس فيها من الغموض ما يحمل على التماس العلل لها ، إذ هى أمر طبيعى اقتضته سنة الارتقاء . فلقد خرج المسلمون من شبه جزيرتهم الصحراوية الى بلاد عريقة فى المدنية وشاهدوا فيها الأبنية الفخمة والعمائر العظيمة ، فاقتبسوا من زخارفها وتصميماتها مالاءم طبعهم ، ووافق رغباتهم ، وطلبوا الى فنانى هذه البلاد سواء أكانوا من الذين دخلوا فى الاسلام أم من الذين بقوا على دينهم أن يستخدموا مواهبهم الفنية فى زخرفة جوامعهم ، فكان ذلك .

ولئن كان يعوزنا معرفة الزخارف التى ازدان بها جامع عمرو على عهد الدولة الأموية ، ولم يشبع المؤرخون رغبتنا فى هذه الناحية ، فلم يصفوا لنا هذه الزخارف وصفا فنيا دقيقا ، فان الأجزاء الصغيرة من الزخرفة التى كشفت عنها الأبحاث الأثرية فى هذا المسجد ، لتتضاعف قيمتها فى نظرنا لأنها تعتبر فى الواقع أقدم زخرفة مصرية إسلامية وجدت قائمة فى مكانها .

هذه الزخارف التى كان يزدان بها الجامع على عهد ابن طاهر ، بعضها محفور على الخشب وبعضها على الجص . أما الأولى فقد وجدت على بعض الطبالى الخشبية التى تعلو تيجان الأعمدة الموجودة فى الرواق البحرى الى يمين الداخل ، وفى الجهة الغربية من الإيوان القبلى ، كما أنها تشاهد أيضا على النوافذ الموجودة فى الجدار الغربى . وهى على قلتها ليس لها شبيه فى زخارف العمارة الاسلامية فى مصر ، وهى تمت بصلة وثيقة الى بعض زخارف قبة الصخرة التى بناها الوليد بن عبد الملك سنة ٧٢ هـ ببيت المقدس ؛ وقوامها فروع نباتية متموجة يتصل بها أوراق العنب ، أو حلقات حلزونية من النبات المعروف باسم شوك اليهود . ويرى الأستاذ هرسفلد فى هذه الزخرفة مثالا ناطقا على اعتماد الزخرفة الاسلامية على التقاليد الفنية السابقة على الاسلام ، لا سيما التقاليد البيزنطية .

ولقد بين الأستاذ كريزول فى وضوح كيف أن هذه الزخرفة تمثل الدور الأخير من أدوار تطور ذلك العنصر الزخرفى الذى كان مألوفا فى الشام قبل الفتح الاسلامى بنحو قرن أو قرنين .

أما الزخرفة المحفورة على الجص فتشاهد فى حنية فى الجدار الغربى ، ولم يعثر على زخارف جصية قائمة فى مكانها قبل هذه الزخرفة . ولقد ألقى اكتشافها ضوءا على المؤثرات التى استمد منها جامع ابن طولون تصميمه وزخارفه .

محمد عبد العزيز
الأمين المساعد بدار الآثار العربية

# المســـــلمون

## حاضرهم ومستقبلهم

ليس أحب الى نفس الغيور على المسلمين ، الراغب فى نهوضهم ، الحريص على رقيهم ، من أن يتفقد مواضع الضعف منهم ، والنقص فى أخلاقهم ، وينبههم اليها فى غير مواربة ولا استحياء ، ولا مبالاة بما عسى أن يناله من أذى ، أو يعترضه من صعاب . والذى يأخذ نفسه بذلك إنما يكون حاله مثل الطبيب الذى يظفر بموضع الداء من المريض فيصوره له ويصف العلاج ولا يكتمه شيئا ، ليكون على علم بعلته ، ويشدد عليه فى استعمال الدواء وإن كان مرا ، ليكون من وراء ذلك الشفاء المقدور له . أما من يرى المنكر فى المسلمين ويغضى عنه ، ولا تثور الحمية فى نفسه لدفعه ، ولا يزعجه انحلال أخلاقهم ، خاشيا التهمة فى نصحه ، والتجريح فى عمله ، فهو كالطبيب يرى الداء يستفحل ، والعلة تستشرى ، ثم لا يصارح المريض بالخطر ، فيستهين بالأمر ، ومن وراء استهانته الهلاك والفناء . كلا الرجلين مقصر وملوم .

لا شك أن المسلمين اليوم ، ومن زمن طويل ، فى حال لا ترضى ولا تسر ، فقد امتدت غفلتهم ، بل طال نومهم ، وأريدوا على ما لا يرضاه لهم دينهم من الذل والهوان ، وطال عليهم الأمد فألفوه واستساغوه ، وأصبح الناصح المذكر غريبا فيهم ، وموضعا للسخرية منهم ، فيرميه خاصتهم وكثير من عامتهم بشتى التهم ، حتى زهد فى النصح والتذكير من هو أهل لهما ، إلا نفراً قليلا أهمتهم أمور المسلمين ، وأزعجتهم أحوالهم ، فصبروا على ما أصابهم من أذى ، وثابروا على النصح ، وأخلصوا فى الدعوة ، وبذلوا أنفسهم وأموالهم فى سبيل الاصلاح ، ولم يبالوا بمقالة السوء فيهم من حاسديهم ، وكانت جهودهم بذورا صالحة للنماء ، ولكنها ككل غراس ، فى حاجة الى من يتعهدها حتى تنبت وتترعرع ، وتثمر ثمرتها ، وتصل الى غايتها .

المسلمون اليوم أشد ما يكونون احتياجا الى هداة ذوى بصائر نافذة ، يتلون عليهم آيات الله ، ويذكرونهم بهدى رسوله ، وسيرة أصحابه ، وماضى سلفهم الصالح ، ويقفونهم على الفروق بين ماضيهم وحاضرهم ، ويدعونهم الى التفكير فى مستقبلهم .

ألا إن للمسلمين ماضيا مجيدا ، وتاريخا حافلا بالعظائم ، يعرفه المسلمون ، ويعرفه كثير غيرهم ، بل يعرفه الناس جميعا .

يعرف الناس أن الدنيا خلصت لهم بالفتح والسلطان ، ودانت لهم الأمم بالإصلاح والتدبير ، وسادتها ثقافتهم وعلومهم ، وهذبتها أخلاقهم وحكمتهم ، وأسعدتها عدالتهم ونزاهتهم ، وآمنتها عفتهم وقناعتهم .

يعرف المسلمون ذلك ويفاخرون به ، ولكن ماذا تغنى المفاخرة بالماضى ، وما هى إلا كالوقوف بالأطلال ، والبكاء على الدمن ، بل ما هو إلا إفلاس من الحياة ؟ ! قد يغنى الماضى التليد إذا كان موصولا بعز الطريف وعظمته وسلطانه ، وليس ذلك شأن المسلمين اليوم ، فالصلة بين حاضرهم وماضيهم صلة ضعيفة ؛ فماضيهم كما أسلفنا مملوء بالجلائل والمفاخر ، وحاضرهم كما نرى عجز وتقصير . تقوم الدنيا وتقعد ، ويضطرم العالم بالحوادث ، ويزدحم بالأهوال ، وتثل عروش وتنحل دول ، وتفنى شعوب ، ويضطرب العالم اضطرابا سيعجز التاريخ عن وصفه ، ويسفر السفراء فى السلم والحرب ، وفى الشرق والغرب ، وموقف الأمم الاسلامية موقف يضيق المقال والمقام بالافاضة فى وصفه ، وإجماله معروف للجميع .

إن حاضر المسلمين إذا قورن بماضيهم ، خلص منهما للمتأمل حال مؤسف مبك ، غير أن البكاء فى المصائب ليس شأن الرجال ، وإنما شأنهم الرجوع الى الصواب ، والاستفادة منها اعتبارا واستبصارا .

إن أحكم بيت قاله شاعر من المعاصرين هو قول شاعرنا شوقى :

فإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فأخلاق الأمم هى قوام وجودها ، وعناصر كيانها ، وروح حيويتها ، إذا توافرت لها توافر لها كل حظ من الحياة ترجوه ، وكل سؤدد فى البقاء تتطلبه ، وكل كرامة بين الجماعات ترمى إليها .

إن الله عز وجل قد صدق آباءنا وعده ، فحباهم أمرع بلاده جنابا ، وأكثر مما لكه عمرانا ، وأسخاها تربة ، وأصحها مناخا ، فزادوها مرعا وعمرانا ، وبلغوا بها أوجا من المدنية أرفع مما كانت فيه حتى أصبحت مطمح أنظار العالم ، يفدون إليها للاستفادة من علومها ، والاقتباس من صنائعها ، والتزود من آدابها وأصولها . وقد شهد بهذا جميع المؤرخين حتى مالا تربطنا وإياهم رابطة أدبية أو مادية ؛ فما لنا ننحرف عن جادة أسلافنا ، ونكب على شهوات نفوسنا ، ونتسامح فيما لا يجوز أن يتسامح فيه من الأخلاق المنافية للحياة الفاضلة ، لنضيع ما بقى بأيدينا من تراث آبائنا ؛ وليس هذا شأن الأمم الشاعرة بوجودها ، المحسة بتبعات حياتها ؟ !

« ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون » ، « وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا ، وعذبناها عذابا نكرا . فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا . أعد الله لهم عذابا شديدا ، فاتقوا الله يا أولى الألباب الذين آمنوا ، قد أنزل الله إليكم ذكرا » ؟

أبو الوفا المراغى

# التجديد والمجددون فى الاسلام

## الامام الأعظم أبو حنيفة — دراسات فى مذهبه

### الاستحسان فى مذهبه :

أنكر بعض الناس على أبى حنيفة القول بالاستحسان ، وقالوا : إنه يحلل ويحرم بالهوى من غير دليل ؛ حتى فسر هذا الاستحسان ابن حزم فى كتابه « الإحكام » بأنه : ما اشتهته النفس ووافقها خطأ كان أو صوابا . ومن أحاط بمذهب أبى حنيفة خبرا ، علم أنه لم يقل بهذا الاستحسان الذى عزوه اليه بغير حق ، كما لم يقل به أحد من أصحابه ومن سار على منهاجه ، بل لم يقل به فقيه من فقهاء المسلمين . ولا أدل على هذا من أقوال جمهرة العلماء ، فقد قال ابن السمعانى : « إن كان الاستحسان هو القول بما يستحسنه الانسان ويشتهيه من غير دليل فهو باطل ، ولا أحد يقول به ؛ وإن كان هو العدول عن دليل الى دليل أقوى منه فهو مما لم ينكره أحد » . وقال غيره : « الاستحسان هو العدول عن قياس الى قياس أقوى ، أو هو تخصيص قياس بأقوى منه » . وقال ابن العربى : « الاستحسان عندنا وعند الحنفية هو العمل بأقوى الدليلين » . وقال القاضى : « الاستحسان مذهب أحمد بن حنبل ؛ وهو أن يترك حكم الى حكم هو أولى منه ، وهذا لا ينكره أحد » .

وقد أثنى كبار الأئمة على الاستحسان وأخذوا به ، من ذلك ما قاله الامام مالك : « الاستحسان تسعة أعشار العلم » . وما قاله الامام أصبغ : « الاستحسان عماد العلم » . وتضمن كلام الشاطبى فى الموافقات « أن الاستحسان ليس هو الرجوع الى مجرد الذوق والتشهى ، ولكنه الرجوع الى ما علم من قصد الشارع ، وذلك كالمسائل التى يقتضى القياس فيها أمرا ، إلا أن ذلك الأمر يؤدى الى فوت مصلحة أو جلب مفسدة ، فيكون إجراء القياس على إطلاقه يؤدى الى حرج ومشقة، والله تعالى يقول : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » .

فمن هذه الكلمات تظهر وجهة النظر العامة فى الاستحسان إجمالا عند جمهور الأئمة ؛ أما وجهة نظر الحنفية الخاصة به ، فقد آثرنا الامام المجتهد فى مذهب أبى حنيفة أبا بكر الرازى الجصاص ليحدثنا عنها ، فهو الذى يحق له أن يتكلم فى هذا الموضوع الدقيق المدارك ، وقوله فيه هو الفصل ؛ قال : « جميع ما يقول فيه أصحابنا — الحنفية — بالاستحسان ، ما قالوه إلا مقرونا بدلائله وحججه لا على جهة الشهوة واتباع الهوى ، ونحن نذكر هنا جملة تفضى بالناظر فيها الى معرفة حقيقة قولهم فى الاستحسان بعد تقدمة القول فى جواز إطلاق لفظ « الاستحسان » فنقول : لما كان ما حسنه الله تعالى باقامته الدلائل على حسنه مستحسنا ، جاز لنا إطلاق لفظ

الاستحسان فيما قامت الدلالة بصحته ، فقد ندب الله تعالى الى فعاله ، وأوجب الهداية لفاعلها فقال عز من قائل : « فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب ». وروى عن ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما رآه المسلمون حسن فهو عند الله حسن ، وما رآه المؤمنون سيئا فهو عند الله سيء » .

ولفظ الاستحسان يكتنفه معنيان : أحدهما : استعمال الاجتهاد وغلبة الرأى فى إثبات المقادير الموكولة الى اجتهادنا وآرائنا ، نحو تقدير متعة المطلقات ؛ قال تعالى : « ومتعوهن على الموسع قَدَرُه ، وعلى المقتر قدره ، متاعا بالمعروف حقا على المحسنين » . فأوجبها على مقدار يسار الرجل وإعساره ، ومقدارها غير معلوم إلا من جهة أغلب الرأى وأكثر الظن ؛ ونظيرها أيضا نفقات الزوجات ؛ قال الله تعالى : « وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف » . ولا سبيل الى إثبات المعروف من ذلك إلا بطريق الاجتهاد ؛ ونظائر هذا أكثر من أن تحصى ، وقد سمى أصحابنا هذا الضرب من الاجتهاد « استحسانا » ، وليس فى هذا المعنى خلاف بين الفقهاء ، ولا يمكن أحدا منهم القول بخلافه .

واما المعنى الآخر من ضربى الاستحسان ، فهو ترك القياس الى ما هو أولى منه ، وذلك على وجهين : أحدهما أن يكون فرع يتجاذبه أصلان ، يأخذ الشبه من كل واحد منهما ، فيجب إلحاقه بأحدهما دون الآخر لدلالة توجبه ، فسموا ذلك استحسانا ، إذ لو لم يعرض شبه للوجه الثانى لكان له شبه من الأصل الآخر ، فيجب إلحاقه به ، وأغمض ما يجيء من مسائل الفروع وأدقها مسلكا ما كان من هذا القبيل ، لأنه محتاج فى ترجيح أحد الوجهين على الآخر الى إنعام النظر واستعمال الروية فى إلحاقه بأحد الأصلين دون الآخر .

والخلاصة : أن الاستحسان فى اللغة عد الشيء حسنا ، وفى اصطلاح الأصوليين يطلق على الدليل الذى يعارض القياس الجلى ، سواء كان هذا الدليل نصاً من كتاب أو سنة ، أو إجماعا أو قياسا خفيا ، وإنما سمى استحسانا لاستحسانهم ترك القياس الجلى به ، فكان هذا مستحسنا ، وشاع فى كتب الأصول أنه إذا أطلق الاستحسان يراد به القياس الخفى ، كما غلب اسم القياس على القياس الجلى ، فالقياس الخفى وإن اختص باسم الاستحسان لايخرج عن أن يكون قياسا شرعيا ، وهو حجة عند الحنفية ويعملون به إذا كان أقوى من القياس لأنهم يقصدون به دليلا من الأدلة المتفق عليها فى مقابلة القياس الجلى . قال فى مسلم الثبوت : إن أريد بالاستحسان ما يعده العقل حسنا ، فلم يقل بثبوته أحد ؛ وإن أريد به ما أراده الحنفية ، فهو حجة عند الكل ، فليس هو أمرا يصلح للنزاع .

فلاخصوصية لأبى حنيفة فى الأخذ بالاستحسان ، وإنما الأئمة ـ إلا قليلا منهم ـ يشاركونه فى القول به ، فالمالكية والحنابلة أخذوا به ، وقد سبق من أقوالهم ما يدل على هذا ؛ ولم يخل

الامام الشافعي رضى الله عنه من الأخذ به ، أما ما روى عنه فى الرسالة وفى الأم مما ظاهره إنكار الاستحسان ، فهو محمول على الاستحسان المحرم الذى هو التحليل والتحريم بالهوى من غير دليل ، وما روى عنه من قوله : « من استحسن فقد شرع » فقد حمله ابن العربى فى الفتوحات على مدح الاستحسان ، وقال : إن مراد الشافعى بهذا القول : أن من استحسن فقد صار بمنزلة نبى ذى شريعة ، فمقصوده المدح ، ولكن أتباع الشافعى لم يفهموا كلامه .

هذا ما تضمنه كلام الشيخ الأكبر فى الفتوحات المكية . ومن الأدلة على أن الأئمة الأربعة أخذوا بالاستحسان المسألة الآتية : فقد ثبت عن الامام الشافعى رضى الله عنه أنه قال : إن مدة الحمل أربع سنوات ، مع أن القياس يقتضى أن تكون تسعة أشهر لأنه غالب ما يقع ، والشريعة جاءت بالحكم بالغالب ؛ وقال أبو حنيفة : إن مدة الحمل سنتان ، وعن أحمد روايتان : المشهورة كمذهب الشافعى ، والأخرى كمذهب أبى حنيفة ؛ وعن مالك روايات : أربع سنين ، وخمس سنين ، وسبع سنين ؛ وقال الظاهرية : تسعة أشهر تمسكا بالغالب الذى هو القياس . ولا مستند لهذه الأقوال المختلفة فى مدة الحمل سوى الاستحسان ، ولم يكن فى المسألة نص قاطع من الشرع .

ومما تقدم تتبين حقيقة الاستحسان وأنه ليس هو التحليل والتحريم بالهوى من غير دليل كما افتروا على أبى حنيفة ، وإنما هو الأخذ بأقوى الدليلين ، ولم يخرج عن كونه دليلا شرعيا من الأدلة المتفق عليها ، وليس هو دليلا زائدا عليها . والذين عابوا أبا حنيفة لأخذه به إما حساد له ، والله تعالى يقول : « يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » ، وإما أنهم لم يفهموا مدارك مذهب أبى حنيفة الدقيقة ، وإما أنهم غير منصفين .

ولم تزل قِلةُ الإِنصاف قاطعة     بين الأنام ولو كانوا ذوى رحم

أما ما نقدوا أبا حنيفة عليه من أخذه بالحيل الشرعية أو الخروج من المضايق ، فسنتكلم على هذا بعد إن شاء الله تعالى .

**السيد عفيفى**

# من أوهام العامة

سأل رجل عمرو بن قيس عن الحصاة يجدها الانسان فى ثوبه ، أو فى خفه ، أو فى جبهته من حصى المسجد .

فقال له عمرو : ارم بها .

فقال الرجل : زعموا أنها تصيح حتى تُرد الى المسجد .

فقال عمرو : دعها تصيح حتى ينشق حلقها.

فقال الرجل : سبحان الله ألها حلق ؟ قال عمرو : فمن أين تصيح ؟ !

# بحوث في المسائل الفقهية

## دفع الخطأ عن الصواب

### الامام الشافعى بين القديم والجديد

ليس جديدا على الناس أن يتحدث إليهم واحد من الأزهر أو من غير الأزهر عن الشافعى رضى الله عنه ، وعن مذهبه القديم فى العراق ، ومذهبه الجديد فى مصر .

وليس جديدا فى العلم أن يقول قائل : إن الشافعى بعد أن وفد على مصر اتجه الى تحرير مذهبه وتصفية مسائله مما عسى أن يشوبها من غموض أو ضعف ، وتدعيمها بما انتهى إليه من أدلة صحيحة ، وما وصل اليه اجتهاده فى الفهم ، وما استقر عليه رأيه من صواب الاجتهاد .

وليس كذلك غريبا على العقول ، ولا إحداثا فى الدين ، ولا بعيدا عما يقول به علماء الاجتماع وتشهد به التجارب الملموسة ، أن يكون الشافعى رضى الله عنه كغيره من أهل العلم يؤثر فى البيئة ويتأثر بها ؛ وشاهد ذلك أن الشافعى دوّن فى العراق ما دوّن ، ولما وفد على مصر ووجد فيها من دواعى البحث ما لم يكن وجد ، وتوفرت لديه أدلة لم تكن تهيأت له من قبل ، وتكشف له من عادات الناس ما لم يكن عرف فى العراق ، كان له من ذلك كله حافز جديد - إذ لم يكن طوى صحيفته ، ولا ألقى يراعته ، ولا فض حلقة درسه - على استئناف البحث فيما مضى ، فمحا الكثير وعدل الى غيره ، وأثبت القليل ( نحوا من عشرين مسألة ) ، ونهى عن الأخذ بما سواه مما أخذ عنه فى العراق . وكذلك كان من آثار البيئة العلمية لدى الشافعى رضى الله عنه أن ظهر له فى جمهرة من المسائل قولان مثلا بدلا من قول واحد ، تبعا لظهور أدلة جديدة صحت عنده ولم ينف بعضها بعضا .

ذلك شأن مفروغ منه ، وكتب الطبقات وكتب التاريخ وكتب الفقه وما إليها حافلة بالكلام فى هذا . فإذا تحدث صاحب كتاب قديم أو جديد بأن الشافعى تأثر بالبيئة فمعناه ما قدمنا لك ، وهذا لا ينفى أنه أثر فى البيئة فأوجد فيها وأفادها ما لم يكن لها من قبل .

ولا يمكن أن يحمل الكلام على غير ما عرفنا من تأثير البيئة ، وليس يتأتى لمدع أن ينفى هذا ، إلا من تخيل إبطال البديهيات الأولية .

فمن شاء بعد ذلك أن يكون ضمن من كتبوا فى تراجم الفقهاء فالسبيل معبدة أمامه ، ويسير من الجهد يصل به الى غايته دون أن يتكلف عسيرا ، أو يصادف شاقا .

ما كان لى أن أعرض لهذا ، أو أشغل القراء بشىء منه ، لولا أن مجلة الأزهر نشرت فى عددها الأسبق والذى قبله طرفا من الكلام عن الشافعى لزميل مدرس معنا بكلية الشريعة ، وكان من المؤسف ، أن يتطوع زميلنا هذا بتجريحنا فى نهاية مقاله الأخير .

ذلك أنه أخذ على الأستاذ أحمد أمين بك ما تحدث به فى كتابه « ضحى الاسلام » عن تأثير البيئة فى الإمام الشافعى ، وبعد أن أتعب نفسه كثيرا فى إبطال ما ذكره أحمد بك أمين هجم على كتابنا ـ تاريخ التشريع الاسلامى ـ الذى يدرس بكلية الشريعة ، ونسب إلينا أننا اقتبسنا فيه بالنص ذلك الخطأ الـبير .

وإن يكن بين كلامنا وكلام الأستاذ أمين بك اتفاق فى الفكرة ، أو شبه اتفاق فى الأسلوب ، فقد سجلنا نحن فى كتابنا أن من بين مراجعه كتب الأستاذ أحمد بك أمين ، فلا غرابة أن يكون بيننا تقارب ما . وعلى ذلك فلم يكتشف الزميل سرا كتمناه ، ولا اهتدى الى خبيئة غابت عن سواه ، وقليل من التؤدة كان يكفيه لتوجيه كلامنا الى الصواب الذى يتمثل فيما كتبنا واضحا شاخصا . ولو أن فى الكتاب شيئا يؤخذ علينا حقا لكان من مقتضيات الصلة العلمية ، ومن مظاهر صدق النية بين الزملاء ، أن يصادف لدى الأخ حسن تعليل ، وجميل اعتذار عنا أمام الطلاب .

أكتب هذا لأزيل ما عاق بالأذهان ، وليس حبا منى فى الجدل ، ولا تهافتا على إثارة الخلاف ، فليس من خلق النزوع الى شىء من هذا ، والله يهدينا ويهدى الناس بالقدوة من أعمالنا ؟

عبد اللطيف السبكى

## العقل والحمق

جاء فى الأثر : أن الله عز وجل لما خلق العقل قال له أقبل ، فأقبل ، ثم قال له أدبر ، فأدبر ؛ فقال : وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أحب الى منك ، ولا وضعتك إلا فى أحب الخلق الى . ولما خلق الحمق قال له أقبل ، فأدبر ، ثم قال له أدبر ، فأقبل ؛ فقال : وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أبغض الى منك ، ولا وضعتك إلا فى أبغض الخلق الى .

وقال الأحنف بن قيس : أنا للعاقل المدبر ، أرجى منى للأحمق المقبل .

وقال شاعر :

يعد رفيع القوم من كان عاقلا ... وإن لم يكن فى قومه بحسيب
وإن حل أرضا عاش فيها بعقله ... وما عاقل فى بلدة بغريب

# مذاهب العرب فى كلامهم

من مذاهب العرب أنهم يلتزمون فى الاستفهام بهل أو ، فيقولون مثلا : هل تحب العلم أو المال ؟ وفى الاستفهام بالهمزة أم ، كما قال تعالى : « آلله أذن لكم أم على الله تفترون » .

ومن مذاهبهم أنهم قد يضيفون الى الجملة حرفا كقد مثلا ، فيجعل لها معنى ، فإذا حذفت منها كان لها معنى آخر ، كقوله تعالى : « قد أفلح من تزكى » .

وهذا من الفروق الدقيقة التى تميز لغة العرب عن غيرها .

ويحسن أن أشير هنا الى أن بعض الكاتبين قد ينحرف عن القصد فى هذا الحرف فيلحق به نفيا ، ، فيقول : قد يكون كذا وقد لا يكون ، والعرب لا تعرف هذا ولم يرد عنهم .

ومن مذاهبهم أنهم يجمعون بين معنيين متغايرين للكلمة فى وقت واحد ، كما فعلوا فى الاستفهام الإنكارى مثلا ، نحو « أتقولون على الله ما لا تعلمون » ، فهو استفهام وإنكار معا .

ومنها أنهم يحكون القول المتقدم ويبقونه على إعرابه ، فيقولون : من محمدا ؟ فى جواب من قال : رأيت محمدا ؟ ولكن النحاة يعتبرون أن هذا عرض للمشابهة ويردون الإعراب الى وضعه الأول .

ومن مذاهبهم الإتباع ، فيجرون الكلمة التالية على حكم السابقة « كحَسَن بَسَن » .

ومن مذاهب القول عند العرب أنهم يربطون المعنى بعدد الأحرف ، فيجعلون زيادة المبنى زيادة المعنى ، مثل قتل وقتّل ، كأنهم يزنون الكلام وزنا ، أو يصبون المعانى فى أكسية لا تفيض أطرافها ولا تنقبض أزلالها .

ومن مذاهبهم أنهم يلقون على الساكن الذى سكن ما بعده للتقييد حركة الإعراب ، كقول الشاعر :

عجبت والدهر كثير عجبه    من عَنَزِىٍّ سبّنى لم أضربُه

ومن مذاهبهم أنهم يطلقون على بعض الأشياء اسما مؤنثا فيشمل المؤنث والمذكر معا ، كما فعلوا فى الحيوان ، مثل حمامة ودجاجة ، فتقول : هذا حمامة وهذه حمامة ، فلا يفرق بينها إلا باضافة كلمات اليها . وقد يخص بعض الأسماء كثور وديك ، ولكن هذا لا يمنع من أن تقول فى الثور : هذا بقرة ، وفى الديك : هذا دجاجة ، وهكذا . وقد يطلقون التأنيث فى كل ما لم تظهر أنوثته وذكورته .

ومن مذاهبهم النحت والإبدال والاشتقاق .

ومنها أنهم أحيانا يحملون الكلام على السياق ، فمثلا لا يذكرون ما يعود عليه الضمير إذا كان معلوما من السياق ؛ ومن ذلك قوله تعالى : « حتى توارت بالحجاب » أى الشمس .

ومن مذاهبهم أنهم يصلون الكلام فى موطن ويفصلونه فى موطن آخر . وهذا باب جليل ، ومعرفته من الدقة بحيث جعلها بعضهم البلاغة كلها .

ومن مذاهبهم الغريبة أنهم قد يقتصرون فى الغرض على كلمة أو بعض كلمة ، ويتركون للسامع أن يفهم ما يريدون . قال الأصمعى : سمعت العرب تقول : « درس المنا » أى المنازل .

وأشير هنا الى أنه يأتى فى القصص الغربى حذف قال وقلت ، فيظن بعض المتأدبين أن هذا الأسلوب تنكره مذاهب العرب ، ولكنه عربى صحيح . فمن مذاهبهم أنهم يحذفون هذا الفعل كثيرا قال ويقول من كلامهم ؛ قال تعالى : « وتركنا عليه فى الآخرين . سلام على إبراهيم » أى يقال له هذا فى الآخرين . وقال تعالى : « فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم » أى فيقال لهم .

وجملة القول أن للعرب مذاهب كثيرة فى كلامهم تجعل لغتهم من الأمهات بين لغات العالم بحيث تتسع لكل ما يلقى فيها من الأساليب الحديثة . فلما جاء المتأخرون لونوا الكلام ألوانا مختلفة ، وجعلوا لها فنا قائما ، ولكنهم استندوا فى جملة ما فعلوا الى أصول العرب التى ذهبوا اليها ، وأضافوا من عندهم إضافات جاء بعضها مقبولا وبعضها الآخر مرذولا ، كاسرافهم فى تكلف السجع ، ودرجوا على ذلك حتى عصرنا الحاضر ، وكاد يكون ما ابتدعوه موضعيا فى أول أمره ، خصوصا الشعر ، فقد كان للمشارقة المواليا ، والقوما ، وكان وكان ، وغيرها ، وللمغاربة عروض البلد والزجل وغيره ، ولمصر أوزانها البلدية وخصوصا « الواو » .

وقد استحدث الأندلسيون فنا سموه الموشح ، ينظمونه أسماطا وأغصانا يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة ، ويسمون المتعدد منها بيتا واحدا ، ويلتزمون عند قوافى تلك الأغصان وأوزانها متتاليا واحد الى آخر القطعة ، وأكثر ما تنتهى عندهم الى سبعة أبيات ، ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراض والمقاصد . وأول من اخترعها مقدم ابن معافر الفريرى ، وأخذ عنه صاحب العقد الفريد .

ومن أحسن ما قيل فى ذلك لعبادة بن القزاز :

بدر تم ، شمس ضحى     غصن نقا ، مسك شم
ما أتم ، ما أوضحا     ما أورقا ، ما أنم
لا جرم ، من لمحا     قد عشقا ، قد حرم

وهناك موشحة لسان الدين ، وقد طارت شرقا وغربا ، ويتغنى بها بعضهم الآن ، نذكر منها البيت الآتى :

جادك الغيث إذا الغيث هما يا زمان الأنس بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حلما فى الكرى أو خلسة المختلس

وقد التزموا الإعراب فى الموشحات، وأما المواليا فقد تجىء معربة، وأكثر ما تكون ملحونة، وما عداها عامى كله.

ومن المذاهب الغريبة فى التصور وطريقة التفكير، لا فى الصورة والوضع، ما يذهب اليه أحيانا بعض الشعراء، فيلتوى عليهم قصدهم، وتعتل طريقتهم، ولم يكن نهجهم من الحق أو الواقع فى شىء.

نذكر من ذلك ما ذهب اليه الكميت فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول:

فاعتتبَ الشوقُ من فؤادى والشعرُ، الى من اليه معتتبُ
الى السراج المنير أحمد لا تعدلنى رغبة ولا رهب
عنه الى غيره ولو رفع الناس الىَّ العيون وارتقبوا
وقيل أفرطتَ، بل قصدتُ ولو عنفنى القائلون أو ثلبوا
اليك يا خير من تضمنت الأرض ولو عاب قولى العُيَّب
لجَّ بتفضيلك اللسان ولو أكثِرَ فيك اللجاج واللجب

فمن رأى أن من يمدح الرسول فى أرض مسلمة، وللاسلام شوكته، يلقى من العنت واللوم والتعنيف ما يزعمه الكميت فى شعره؟ ألا إنه الخطأ فى الفكر والاضطراب فى الخيال.

بقى أن ننظر بعد ذلك فى مذاهب القوم فى فهمهم وفى طريقة تفكيرهم، فالى المقال الآتى إن شاء الله؟

محمد ناصف

---

# جمعية المحافظة على القرآن الكريم

ستجرى جمعية المحافظة على القرآن الكريم بالقاهرة مسابقتها السنوية لامتحان الطلبة صغار السن فى حفظ القرآن الكريم وتلاوته وأحكامه، من كل بلاد القطر، فى صباح يوم السبت ٩ أغسطس سنة ١٩٤١ بمقرها بشارع الملكة نازلى رقم ١٢ على جوائز مالية وشهادات.

والطلبات تقدم من الآن باسم سعادة رئيس الجمعية ومرفق معها شهادة الميلاد، على شرط ألا يزيد سن الطالب عن ١٤ سنة فقط لغاية أغسطس سنة ١٩٤١، ولا تقبل شهادة تقدير الطبيب، ولا يكون ممن أخذ مكافأة السنين الماضية؟

# من وحى الشريعة الخالدة

لقد كان فيما تجلى بين الناس مما يسود الأنظمة البشرية ويسلكها فى طلق واحد هو الجد المطلق والسعادة القيمة ، وما يردها فى شتى مرافقها ومنازع وجودها الى سُبل من الحياة لا عداد لها ، وآفاق مختلفة لا تقاس اليها القوانين الوضعية فى قليل ولا كثير - أنبل ما عرف التاريخ فى أطوار الماضى البعيد ، وأقوم ما اهتدت اليه البشرية فى مختلف صورها ومحيط آفاقها.

فالشريعة التى تعنى بإحكام أنماط المجتمع ، وبث المثل العليا فى أطرافه ، ودعوة الناس الى أن يستجيبوا تلك الدعوة العامة ترسم لهم المناهج فى أحوالهم الشخصية ، وتقيم بنيانهم على أسس من الجد منيعة ، وبراج من السعادة رفيعة ، وتدل بهم الى أن حياة الفرد التى تتألف منها حياة الجماعة والأمة أحرى بها أن تكون حياة وثيقة الاتصال بالحياة الدائمة ، حتى لا يتسرب اليها وهن ، ولا يعتورها ضعف واختلال - هى شريعة السرمدية والبقاء ، وناموس الخلود المستمد من وحى السماء . ولم ترسم الشريعة فيما رسمته أحكاما خلت من العبرة ، ونبت عن الموعظة ، بل رسمت كما رسمت من طرائق الجد أحكاما تعلم الانسان كيف يكون فقيها فى دينه ودنياه .



ومن فقه العبد فى دنياه أن يكون بصيرا بعقبى أمره ، مضطلعا بالخطوب وما يجد له عنها فرجة ، وما يستدفع غوائلها من حجج بالغات ومثلات سابغات .

ومن فقه العبد بدنياه أن يكون حذرا فى متركه ومأتاه ، ومتبلغه وغاية مناه ، لا يخدعه سراب الأمل ، ولا تهيج به نوازع المنى فتصدفه عن جادة العمل ، يعتبر بالماضين ، ويقفو أثر السابقين ، فله اليهم غاية ، وله بهم وشيجة رحم ولحمة قرابة . قال الله سبحانه جل وعلا : « واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه ، واعلموا أن الله غفور حليم » . وحذرُ العبد من الله أن يكون بصيرا بعقباه ، قائما على سره ونجواه ، صادقا فى عافيته وبلواه ، فلا يخدع إلا من حيث يعلم أنها خدعة الصبى على اللبن فلا تورثه تلك الخدعة ظاهرة من ظاهرات الضعف وضيق العطن ، ولا تهبط به بين عارفيه الى وهدة الغفلة والراحة وفطير الرأى ، بل ينبغى أن يكون العبد ذا دراية وحنكة إذا خدع مرة فلا يخدع أخرى ، بل إن الخدعة الأولى تعلمه كيف ينجو من الخدعة الثانية ، لأنها ميسم التجربة ودليل الجدة ومشكاة الظلام .

حكى بعض رجال الحديث فى السيرة أن الشاعر أبا غرة كان هجاء مستطيلا على منازل الناس وكرائم الخلق ، أسر يوم بدر فضرع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فك أسره ، وكان يعلم منه أنه رجل يقع فى الأعراض والكرامات ، ليس له من خلقه وازع ولا من عقله رادع ،

غير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهده على أن لا يعود سيرته ، فقال أبو غرة نعم . عند ذلك أطلق النبي صلى الله عليه وسلم سراحه . لكنه ما لبث أن لحق بقومه وعاد الى ما كانت تخلع عليه خلائقه من التحريض والهجاء والإقذاع . وللايام دورتها ، وللافلاك مدارها ، فأسر أبو غرة مرة أخرى فى واقعة أحد ، وجيء به موثقا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله المن ، فأباه عليه صلى الله عليه وسلم وقال : « لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين » .

فالمؤمن كيس فطن . وكياسة المؤمن ألا يؤخذ على غرة ، فلا تستخفه أحلام ، ولا تعبث بيقينه أوهام ، وإنما يرى الرأى مجتهدا فيه صادق العزمات ، مسدد الوثبات ، فان أخطأ فله أجر وإن أصاب فنعما هى . فالحذر من الناس هو الذى يبلغ من الحياة أوطارها ؛ وينال منها بلغته ، وهو بما يحمل من عين ساهرة ، وفكرة من اليقظة مترافدة ، نادر المثال ، لأنه المفرد العلم فى قومه ، فيترسمون خطاه ، ويضربون على قيثارته . والى هذا يشير رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « تجدون الناس كابل مائة لا يجد الرجل فيها راحلة » . وهذا الحديث يعنى أن الناس وإن كثروا عددا فالمفرد العلم الذى يمكن أن يكون فيهم ملاك الفضائل أندر وجودا وأعز منالا ، كما أن المائة من الابل مثلا تكون بين سمعك وبصرك فلا تقع فيها على راحلة قوية سهلة السير مأمونة الجانب سلسلة القياد إلا نادرا . والناس يتكاثرون عددا ولكنهم يقلون شمائلا :

إنى لأفتح عينى حين أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحدا

عباس طه

---

# اعلان لحضرات المشتركين

نرجو الذين يودون متابعة الاشتراك ودفعوا نصف قيمته أن يبعثوا الينا بالنصف الثانى حتى لا تتأخر عنهم المجلة .

But the best remedy to avoid future unpleasantness lies in the hand of the woman in Islam, where marriage is a civil contract and can be saddled with adequate conditions, to violate which would in itself bring marriage to nullity. Thus, a woman who fears the possibility of a second-marriage on the part of her betrothed, can make provisions against its unpleasant effects, before she is married. She may get such special damages, as are provided in the contract of marriage, when the contingency arises; she may have the option of living separately from her husband with a suitable maintenance; or get herself divorced and lead an independent life, and recover damages as well. But this should all be provided for in the contract of marriage.

"Polygamy in a word, in Islam, is a remedy. It has its uses and abuses. Islam guards against the latter, and allows the former under restrictions and within stringent limits. More knowledge of human needs and exigencies would enlighten the world and enable it to see the necessity of allowing an institution, like polygamy, with its rare and limited use as in Islam[1]."

**Polygamy is not an institution originated by Islam.** "Now Mohammed," writes Mr. B. Smith, "was a legislator and a statesman, as well as the founder of a religion and why is the defence which we allow to Solon, and the praise we bestow upon the limited scope of the Mosaic legislation, denied to Islam?

"Polygamy is, indeed, next to caste, the most blighting institution, to which a nation can become a prey. It pollutes society at the fountain-head, for the family is the source of all political and all social virtues. Mohammed would have more than doubled the debt of gratitude the Eastern world owes to him, had he swept it away; but he could not have done so, even if he had fully seen its evil. It is not fair to represent polygamy as a part of Mohammedanism any more than it is fair to represent slavery as a part of Christianity. The one co-exists with the other, without being mixed with it, even as the muddy Arve and the clear Rhone keep their currents distinct, long after they have been united in one river bed. Perhaps it is strange that they ever could have co-existed, even for a day; but we have to deal with facts as they are, and it is a fact, that slavery has co-existed with Christianity, nay, has professed to justify itself by Christianity even till this nineteenth century. Mohammed could not have made a 'tabula rasa' of Eastern society, but what he could do he did. He at least put strict limitations on the unbounded licence of Eastern polygamy, and the facility of

(1) H. H. Nawab Sultan Jahan Begam Sahiba, Ruler of Bhopal, India.

the institution under restrictions which gradually proved to be a most efficacious check to polygamy, and made the largest portion of the Moslem world observe strict monogamy. The best check indeed has been provided in the very verse of the Koran which is held to authorise polygamy : "Then marry what seems good to you of women, two, three or four (wives); but if ye fear that ye shall not act equitably, then one (wife) only [1]."

In this verse the licence given to polygamy is curtailed by the proviso which enjoins strict equity and justice towards all wives as obligatory on man. In case a man feared that he could not act equitably and justly between his wives, he was directed to be content with one wife only. The word 'fear' in the verse deserves special notice; that is to say, if a man is afraid that he will not be able to comply with the proviso, he must not go beyond one wife. And it need hardly be pointed out, how difficult it is to give every one his (or her) own just due; nor is every one able to do it. Nay, the Book of God itself admits in another verse the inability of man, to observe the required equality of treatment in every respect to all of his wives, and thus emphasises the desirability of having only one wife; but suggests, at the same time, a very wise course to those who under unavoidable circumstances have been compelled to have more than one wife. The verse is as follows : "And ye can never act equitably between women, although ye covet (it); but turn not with all partiality (towards one of them) nor leave the other like one who is in suspense; but if ye be reconciled, and fear (to do wrong), verily God is Forgiving, Compassionate [2]." Again : "And if a wife fear ill-usage or aversion from her husband, it shall be no crime in them both that they should be reconciled among themselves with some reconciliation; for reconciliation is best. And souls are prone to avarice; but if ye be good and God-fearing, verily God knows what ye do [3]."

It will thus be clear from the above instructions that when a man has married two wives in the belief that he is able to treat them equitably, and he then finds that he is inclined towards the one to a degree amounting to aversion against the other, and is prepared to divorce one of his wives, the above verses lay down directions for the guidance of both man and wife, namely, that they should come to an understanding between themselves and be reconciled—the wife by foregoing some of her rights, and the man by self-control. This would save each of them the troubles attendant upon a divorce.

(1) Koran IV : 3. (2) Koran IV : 129.
(3) Koran IV : 128.

of the law in the West which, practically speaking, condones what it condemns under the name of bigamy. Marriage after all is only a union of man and woman which under specified formalities received the sanction of society. Therefore, if the special circumstances of an age do demand the multiplication of units in a nation, why not legalise what has already received the sanction of practice and usage, and save thousands and thousands of souls from the ignominy of being called 'bastard' sons or daughters, and thus give them the right to inherit from those who gave them their body ? It would tend to improve morality, and enhance the sacredness of nuptial rights. Thus, polygamy sometimes becomes a national necessity.

This institution has also its legitimate uses in individual cases as well. Propagation of one's species is the most important of all the purposes of marriage, and if all hopes of an issue through the first wife are at an end, there seem to be only three ways open to a man : either to divorce his wife ; to deny himself the pleasure of having issue—the desire of nearly every married man ; or to wait till the death of the wife, and spoil his whole life. Is not then a second contemporaneous marriage to be preferred to any of the above alternatives ? A man may do it and save heart-burnings, if he is strongly attached to his first wife. The case of Napoleon presents a good illustration. He had to divorce, his well-beloved wife, Josephine, a lady possessing virtues and abilities of a very high order. There was the warmest attachment between the two, but Napoleon could not have issue from her, and the country therefore insisted upon her divorce. The account of her divorce, as related by historians and biographers, is extremely pathetic. Napoleon married another wife, he reigned splendidly and enjoyed the benefits of a prosperous kingdom ; then came calamities, upon him, which continued until his death. Josephine had been divorced, but their love for each other underwent no change. She remembered him with ardent love and sympathy in his troubles and calamities as in the days of happiness. But the strong cord which bound them together had snapped asunder. If polygamy had been allowed -and this was, I say, one of the rare occasions where the jurists of Islam have sanctioned polygamy—Napoleon and his widow, would not have suffered this extreme affliction. Moslem ladies have often allowed their husbands in such cases to take another wife and beget an issue [1].

Of course, those who indulge in polygamy without obvious reasons, are not acting in accordance with the spirit of their religion. Islam placed

(1) 'Muslim Home' by H. H. Nawab Sultan Jahan Begam Sahiba, Ruler of Bhopal, India.

of wives, let him live with one wife, and Islam will not be a bar in his way.

**Polygamy is not essential in Islam.** To consider polygamy an essential in Islam, would be an unpardonable mistake. In fact, the teaching of the Koran is to the contrary, and strongly recommends monogamy, as already shown. Islam claims to be a universal religion. It was not revealed to meet the requirements of a particular race or age; with its world-wide mission, Islam had to look to the requirements of all ages, countries, and civilisations. Besides the substantial laws, the code of Islam, as every wise legislation must do, provides certain ordinances which may be looked upon as auxiliary or remedial laws, with an elasticity to meet the contingencies of place and time. It deprecates their abuses, and lays down proper restrictions as to their use.

The events of the world sometimes give rise to circumstances which cause appreciable paucity in the number of men. Inter-tribal or international wars often lead to the same result; and leave numberless members of the weaker sex without home or protection. The great European war (1914-18) is a quite recent example of international calamity that caused an unimaginable decrease in the number of males, leaving hundreds of thousands of females without guardians or protectors. With all our refined ideas of chivalry and broadmindedness, no other institution than marriage can safely come to save the situation. Other measures under similar circumstances have been schemed and resorted to, but they could not avoid undesirable results. To maintain strict continence and piety in society, Islam would not recommend any woman to seek refuge under the roof of any man who does not stand in marital, or within the prohibited degree of relation to her. Our experience also goes for to endorse the advisability of Islamic policy in this respect. Polygamy is the only specific remedy to meet the need. But woman has not been left without her own choice in the matter. To secure her peace, comfort, and happiness, if she needs no other help or protection, no Moslem would compel her to marry a man who is already the husband of another woman. Thus polygamy, as said before, is a sort of remedial law in Islam which may come into operation when opportunity arises, and should not be resorted to when there is no occasion for it. It is not only for connubial purposes, that equality of number in men and women is a necessity. In human life there are occasions when only men are in requisition. How to fill up the shattered ranks, if similar calamities cause the dearth of men? The only two resorts left are either to encourage bastardy or adopt polygamy. To recruit the number no one having the least sense of decency, would recommend the former measure. One, indeed, cannot understand the wisdom

is always very high and there is no province where the returns are more lamentable than Bengal. In the annual report of the Sanitary Commission for 1912, it is stated that nearly 34,000 children died during the first year of their existence, this representing a loss of twenty one per cent of the births. Under these conditions the only way to protect the numerical strength of the human race against the undermining effect of infantile diseases, is to resort to polygamy. Heat that engenders sickness cannot be prevented ; therefore it is impossible to better the climate of the hot region in this direction at least. As long as the maladies, fatal for childran, cannot be effectively combated, it is unwise not to adopt another counter-active measure. If mortality cannot be reduced, the birth rate should be increased to a very high degree. The fatal influence of the sickness can be encountered by producing a large number of healthy children, so that a good number of children may survive the bad effect of the climate. This necessitates Polygamy. By two or more wives one can beget more children, and thus contribute to the preservation of the human race. The high number will make up for the increased death-rate among the young, and keep the population from dwindling.

This is one of the many natural ressons that go to prove the necessity of polygamy [1].

The writer takes this opportunity to point out, that our critic friends have no cause to lose their temper at the mention of polygamy. Islam does not enforce polygamy. It enjoins marriage where no disabilities stand in the way. Monogamy is the general rule, polygamy is a provision for urgent emergencies. It is unwise to question the general wisdom of an institution in exceptional cases. If a man can be content with one wife, Islam does not compel him to resort to polygamy. If Christian critics find that their way of living obviates the necessity of a plurality of wives, they are not bound to have recourse to polygamy. Let them live with one wife and refrain from reviling Islam, as Islam does not make polygamy obligatory. If they clearly understand the problem of polygamy, I hope they will come to entertian a better feeling towards the law of the Holy Prophet. Islam simply permits polygamy, if one cannot live in happiness and piety with one wife. But if Christians can live piously and happily with one wife, Islam does not interfere. Islam is as much monogamous as Christianity, the difference being, that the former makes a provision for urgent needs, with due regard to the rights of the wife, whereas the latter does not. Should a man fail to find any emergency calling for a plurality

---

(1) Physical inability on the part of a married woman to fulfil the duties of marriage is evidently a justification of polygamy, for instance.

like other cravings of nature, being duly gratified, may lead to the perfect safety and the complete security of social morality. Thus the Islamic system of marriage, harmonising with the practical need and requirements of mankind, gains fresh lustre when brought under the search-light of unbiassed criticism. The Prophet's example in the matter of marriage is specially striking. It refutes the commonplace objection of ignorant people, that it is impossible to deal fairly with more than one wife. One need not waste time and energy in discussing the practicability of monogamy or polygamy for mankind. The example of the Prophet is vividly before us. He had as many as nine wives, but how lovingly and fairly he behaved towards them, is known to all students of religion. The love he bore to each individual wife, and the consummate spirit of good will that characterised the mutual relation of the Prophet and his wives, is above the possibility of suspicion. We have the absolutely credible evidence of the wives themselves. They state him to be the embodiment of love and justice[1]. Never was there any real grievance on the part of the wives against his treatment. The Prophet with his perfect example has proved up to the hilt, that it is quite possible for a polygamous husband to maintain justice and equality of treatment among his wives, if only he has a mind to do so. When the Prophet could do perfect justice towards nine, there should be no reason why we cannot do justice towards only four, even less than half the number. The excess allowed to the Prophet is not to permit him to indulge in sensuality, as certain critics would have us believe, for the Prophet's life is unsullied and above such base charges, but it is meant to show to the world how the Prophet was endowed with superhuman feeling of love and affection towards his wives. It was also intended to show the Moslems how it was within the range of possibility, to deal kindly and justly with a plurality of wives. He left no room for discussion. He acted and asked his followers to act. Polygamy must not be discarded, if it be found conducive to social happiness, on the clumsy pretext that it is impossible to live smoothly with more than one wife. The Prophet did live peacefully with nine wives, and we Moslems can also do so, under given conditions, with four wives, if we follow the noble example of the Holy Prophet in all our doings and actions. It is only when we fail to live up to the standard of the Prophet's perfect manners, that we fail to secure a peaceful and loving attitude towards a plurality of wives, nay even towards a single wife.

The natural causes that go to prove the necessity of polygamy are many. According to the Pioneer (Allahabad, India) infant mortality in India,

---

(1) Ibn Athir, Abul Feda, Sir W. Muir & c. & c.

discover their hidden ornaments. And be ye wholly turned to God, O ye believers ; then it shall be well with you [1]."

Thus, both men and women are required to refrain from unnecessarily looking at each other. The softer sex is required to walk about so carefully as not to be a stumbling block for any weakling, and therefore the social morality and individual chastity are kept intact. Promiscuous intermingling of both sexes, and the reckless display of charms on the part of the fair sex, have gone a long way towards undermining the moral tone of Christian countries.

A learned man[2], commenting on the charge that Islam stimulates sex-indulgence, writes in the Review of Religions :—

"The living facts speak volumes for themselves, and no one who has had occasion to read up certain articles in the Encyclopaedia Britannica, can afford to question the truth of the sad state of affairs so strikingly brought to light in them. We cannot shut our eyes to the ennobling influence of the growing civilisation of Europe, but civilisation with all its softening and elevating forces, has not yet been able to obviate the necessity of food, and alleviate the pressure of all the cravings of nature. If, therefore, attraction of charms, is a natural aptitude, as surely it is, one cannot help admitting, that unlike other natural desires, this craving of nature also remains unaffected by the advance of civilisation. No amount of learning and no sort of culture and scholarship can alter human nature ; and it follows, therefore, that civilisation can scarcely prove a bar to the inborn desire of man for woman, and vice versa. To assert that civilised Europe is proof against the resistless onslaught of passion, is a ridiculous statement when, civilisation has failed to do away with other natural desires of mankind. To give a moral lift to the Christian countries, it is necessary to introduce the Islamic moral code which pays equal attention to the intellectual, moral and social advancement of the people. But under the present circumstances, it is sad to note that Christian Europe improves the intellectual side at the sacrifice of the moral one."

## (3)
## Islam and Polygamy

Islam enjoins marriage, whether monogamous or polygamous, as the conditions of life necessitate, with due regard to piety, so that there may be no violence to human nature ; and the desire for sexual intercourse,

---

(1) Koran. (2) Qazi Abdul Haque.

impossible, therefore, to incur displeasure where the avowed object is to win approval. Thus it is clear that Islamic marriage makes life pure and chaste, and does not afford occasion to taunt any one with the vice of sensuality.

Whether a Moslem weds one wife or the fullest admissible number of wives, he connot lose sight of the object of his life. He is not born for anything but the adoration of God. He turns heretic if he even for an instant, even in the moment of sexual intercourse—the moments of utmost enjoyment and therefore of utmost self-forgetfulness—banishes from his mind the purpose, for which he was brought into being. Marriage, whether monogamous or polygamous, is for a Moslem the means of attaining the nearness of God[1]."

The Gospel's commandment "Every one that looketh on a woman to lust after her, hath committed adultery with her already in his mind," shows us that an evil look is forbidden; but a look having no wicked intention behind it is permitted. Moslems, however, are bound by their religion not to look repeatedly and freely at a strange woman, for the pleasure of doing so. According to human nature a woman, on account of her charms, is an object of temptation; and whoever exposes himself freely to temptation prepares the way for his moral destruction. Too much indulgence in the habit of looking freely at beauties, as it seems to be allowed according to the Gospel's text, leads to evil. The best way to guard against evil, is to avoid the path that leads to temptation. The Koran forbids both pure and impure free looks; for too much recourse to pure looks is likely to prompt impure ones. To be safe, temptation must be kept at arm's length and not nourished freely to exhaust one's patience and power of resistence. The Koran's injunctions on the subject are as follows :—

"Ask the believers to cast down their eyes and observe continence. Thus will they be more pure. Of a truth, God is well aware of what they do. And ask the believing women to refrain their looks and observe continence; and to display not their ornaments except those which are external, and to draw their veils over their bosoms, and to display not their ornaments, except to their husbands or their fathers or their husband's fathers or their sons, or their husbands' sons, or their brothers or their brothers' sons or their sisters' sons or their women or their slaves or male domestics who have no natural force, or to children who note not women's nakedness. And let them not strike their feet together, so as to

(1) Al Ghazali.

# THE RELIGION OF ISLAM

by

AHMAD A. GALWASH, PH. D., LITT. D.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی